المشرق

فرائض الولاء لملكة السماء

ذا عام خمسين قد دقّت بشائرهُ يوبيل بكرٍ صفاها الله من زللِ
فالآبُ فضّلها والابن جلّلها والروح ظلّلها جلّت عن المثلِ
هبّت جحافلُ ابليسٍ لترصدها فارتدّ في نحرهِ كيدٌ مع الفشلِ
يُهنيكِ نصرُكِ امَّ الله منعمةً طوباكِ ظافرةً بالبرّ في الحبلِ
هذي تحيّتُنا في صدر مشرقنا تُهدى لسيّدةٍ في افخر الحُلَلِ

انّا بكلّ طيب قلب في غرّة ايّار الشهر المريمي نُلبي دعاء الملك الرحمات لاون الثالث عشر وخلفهِ الجليل يوس العاشر الجالس سعيدًا على السُدّة البطرسيّة فتخصّص هذا العدد من مجلّتنا لمشاركة العالم الكاثوليكيّ في افراحهِ بنسبة اليوبيل الخمسينيّ لاثبات عقيدة حبل العذراء البريّ من كل دنس الخطيئة الاصليّة على يد الطيّب الذكر بيوس التاسع سنة ١٨٥٤

كيف لا ولبلادنا الشرقيّة السّهم الاعلى والنصيب الاوفى من نعم هذه البتول الطاهرة وبركاتها الغزيرة الوافرة . ولا غرو فان في شرقنا قد نبتت هذه السوسنة المباركة التي عطّرت باريجها كل افناء المسكونة . وفي الشرق نالت ذلك الظفر الباهر بسدّ الجنس البشريّ وسحقت رأس الحيّة الجهنميّة . وفي الشرق وُلدت ذلك المولد العجيب الذي سرّ السماء والارض وأطفأت نار غضبه تعالى على الجبلة الآدميّة . وفي الشرق نشأت واثمرت للعالم ثمرة الحياة مع دوام بتولتها . كما انّ الشرق تشرّف برقادها الاخير ومنه نُقل جسمها الطاهر الى المظالّ السماويّة . ولم يزل الشرق مذ ذاك الحين يبجّلها ويعظّم مفاخرها ويستدرّ سوابغ نعمها ويدافع جهاراً عن مناقبها السامية لاسيّما امومتها الالهية وحبلها الطاهر من كل وصمة الخطيئة

فلتقبل هذه البتول السيّدة والامّ الحنونة تقدمتنا هذه الزهيدة كعربون شكرنا لأفضالها ورمز محبّتنا الخالصة وتعبُّدنا لجلالها ملتمسين من مراحمها ان تشفع بابناء جلدتها الشرقيين وتسبغ عليهم نعمها الفائضة وتجمع عقولهم في وحدة الايمان كما اجتمعت قلوبهم على محبّتها وتحظيهم يوماً بالسعادة الدائمة بصحبتها امين اللهمّ امين

عقيدة الحبل بلا دنس

في الكنائس الشرقيّة

نظرُ للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ الكنيسة الكاثوليكية في تعاليمها وجامعهـا وبراءات احبارها لا تخترع العقائد التي تعرضها لمعتقد ابنائها بل تُعلن بهـا فقط اذ هي حارسة لوديعة الايمان التي قبلتها من السيد المسيح على يد رسله الاطهار. فلا تزال تصونها صيانة اثمن الكنوز واكرم الجواهر. على انَّ ثروتها واسعةٌ جدًّا لا تنفد وانَّما تنفق منها ما تراهُ اجدر بحاجات البشر على مقتضى كرور الاعصار فتستخرج من دفائنها ما كان مطمورًا وتنشر على رؤوس الاشهاد ما كان مستورًا. فهذا فعليا اذا ما حاولت البدع الجديدة ان تزرع زوَان الضلال في حقل القلوب. فانَّهـا تعمد الى تقليدها الثابت وتزيف التعاليم المستحدثة بقوَّة حجبها الراهنة فتبكم افواه المضلّين وتفحم ألسنة الكاذبين. فهكذا ردّت كيد اريوس في نحرهِ لمَّا انكر لاهوت السيّد المسيح وتصدَّت بزاعم نسطور وابطلتها لمَّا قسم المسيح وجعلهُ اقنومين وذهب الى ان البتول العذراء امّ انسان فقط. وكذلك تحكم الحكم الفصل اذا ما نشأت بين الكاثوليك آراء متباينة فتفرز بين الصحيح والباطل وبين الحقّ والضلال

وهذا ما فعلتهُ في منتصف القرن السابق منذ خمسين عامًا لمَّا قام ذلك الحبر السند والإمام الاوحد بيوس التاسع فأعلن وحدَّد بعد البحث المعمَّق والنظر المدقَّق واستشارة لساقفة العالم الكاثوليكي بان البتول الطاهرة والدة الله بنعمةٍ خصوصيَّة لم ينلها سواها حُبل بها بلا دنس الخطيئة

الجدّية اي خطيئة آدم الاصليّة ومن ثمّ انّ هذه الحقيقة احدى العقائد التي ورثتها من المسيح بتقليد متواصل لا رَيب فيه ومن شكّ فيها استحقّ ان يُفصَل من جسم الكنيسة

فيقول امام الاحبار « انّ هذه الحقيقة احدى العقائد الموروثة بتقليد متواصل » اشار الى ان الكنائس الشرقية التي هي قسم معتبر من كنيسة المسيح توافق في هذا الصدد الكنيسة الغربيّة . ومن ثمّ احببنا ان نجمع هنا بعض الشواهد الناطقة بمعتقد الشرق بحبل العذراء البريّ من الدنس لترى انّ ايمان الكنيسة اليوم كما كان سابقًا وانّ الرُسل الذين بشّروا بتعاليم المسيح في بلادنا لم يعلّموا غير ما علّمهُ اخوتهم الذين بشّروا في البلاد الغربيّة

*

وقبل ما نورد بعض هذه الشهادات الصادقة والآيات البيّنة الناطقة لا بُدّ لنا من توطئة نمهّد بها الطريق لادراك هذه النصوص فنقول:

انّ معنى قولنا « بانّ مريم العذراء امّ الله حُبل بها بلا دنس » لا يُراد به انّ هذه البتول وُلدت كما وُلد المسيح لذكرهِ السجود على غير طريقة البشر . فانّ ذلك لم يخطر على بال احد من الكاثوليك الذين يقرّون علانيةً بان لمريم العذراء ابوين طبيعيين وهما القديس يواكيم والقديسة حنّة . بل غاية ما نقول انّ البتول الطاهرة منذ اوّل دقيقة حياتها في احشاء والدتها لم تكن تحت رقّ عبوديّة الشيطان خزاهُ الله وذلك بخلاف البشر اجمعين الذين بعد عصيان آدم الجدّ الاوّل ورثوا عنهُ خطيئتهُ الاصليّة فيولدون كما يقول بولس الرسول ابناء غضب واعداء لله عزّ وجلّ . وانّما استثنيت مريم العذراء من هذا الحكم لا لاستحقاقاتها الخاصّة او بفضلها السابق بل بنعمة فريدة نالتها سلفًا منهُ تعالى بالنظر الى استحقاقات ابنها السيد المسيح الذي

كان لزمعاً ان يتّخذ من احشائها الطاهرة جسماً بشرياً ويلبس منها طبيعتنا فيضمّها الى طبيعته الالهية بوحدة اقنوم لاهوته

وليس في هذا الامر ما يوجب انذهالاً لانّ شرف الثالوث الأقدس كان يقتضي بان تكون امّ الكلمة المتجسد خاليةً من كل دنس لا عيب فيها البتّة . وذلك انّ البتول مريم بولادة ابن الله صارت مشاركة للآب الازلي فولدت في الزمن بالجسم ذلك الذي ولدهُ الآب قبل كل الدهور بطريقة العقل . أفكان يليق بالآب ان يسمح بان تُخلق مريم ملطّخة بالخطيئة الجدّية . وكذلك الابن لم يكن ليرضى له بوالدةٍ الّا ان تكون مزدانة بكل حسن وجمال لا ينقصها فضل او كمال . واوّل هذه المحاسن ان لا تكون مريم اسيرة ابليس الذي جاء المسيح ليهدم سلطتهُ بحيث لا يستطيع الخنّاس يوماً ان يفتخر عليه بانهُ استعبد امهُ . وكذلك الروح القدس الذي جعل قلب البتول كمقدسٍ لعجائبه لم يمكنهُ ان يسلّم عروسهُ مدّةً لحكم عدوّ البشر ليدنس هيكل نفسها الطاهر وهو يريد ان يحلّ عليها ويظلّلها بقوّته العلويّة

وزد على ذلك انّ مقام مريم العذراء وعظمتها وما نُدبت اليه من المهامّ الممتازة يستوجب طهارتها منذ اوّل دقيقة من حياتها فانّ النصارى كلهم يعترفون بان مريم العذراء ملكة السماء وسلطانة الملائكة . فليت شعري كيف تفوق الملائكة اذا رأوا في بعض اطوار حياتها اثر الدنس . وكذلك نقرُّ بانّها شاركت المسيح في عمل الفداء ولكن كيف يحاول خلاص غيره من يحتاج الى الخلاص . ثم انّها أُقيمت شفيعةً للبشر ووسيطة بين ابنها الالهي والخطأة فهل تستطيع ان ترد غضبهُ تعالى عن الجبلة البشريّة اذا كانت هي نفسها موصومة بوصمة الخطيئة التي اثارت غضب الله ؟ لا لعمري . فهذا واسباب اخرى عديدة تبيّن بياناً واضحاً ان مريم البتول خُبل بها بريئة من كل خطيئة

اصليَّة وان ابليس لم يجد ما يعيّرها به بل سحقت راسهُ ومزّقت شمل قوّاته الجهنميَّة

*

لكنَّ هذه البراهين العقليَّة لا تبتّ الامر قطعيًا لو لم يكن لدينا ادلَّة اخرى وضعيَّة تزيل الشبهة. واوّل هذه البيّنات ما ورد في الاسفار المقدَّسة من اقاويل واشارات ورموز متعدّدة اذا جُمعت وسُبرت بمعيار العقل المجرّد من الاهواء اثبتت هذه الحقيقة لاسيَّما اذا أُضيف اليها تفسير الآباء وملافنة الكنيسة. واخصُّ هذه الأقوال ما ورد في سفر التكوين (٣: ١٥) حيث قال الله لحوّاء المخدوعة وللحيَّة الخادعة التيّ اختفى الشيطان تحت صورتها: أجعل عداوةً بينكِ وبين المرأة وبين نسلكِ ونسلها فهو يسحق رأسكِ وانت ترصدين عقبهُ». فاتفق الآباء على ان هذه الآية لا تشير فقط الى انتصار المسيح على الحيَّة الجهنميَّة بل الى ظفر والدتهِ ايضًا بعدوّ البشر اجمعين لانَّ هذه العداوة بين المرأة وبين الحيَّة دائمةٌ كما يظهر وهي تدلُّ دلالة صريحة على انَّ الحيَّة اي ابليس لم يمكنها البتَّة ان تظفر بها في ايّ ساعة كانت من حياتها. بل نسبت بعض الترجمات القديمة سحق رأس الحيَّة للمرأة عينها فقالت: «وهي تسحق رأسكِ» لا «وهو يسحق». وكذا فسَّر الآية بعض الآباء الشرقيين انفسهم من جملتهم القديس غريغوريوس النيصصي. ولا نتتبَّع بقيَّة آيات الكتاب الكريم المشيرة على قول الآباء الى طهارة البتول الاصليَّة كقول الروح القدس عنها في نشيد الانشاد: «كلكِ جميلة يا خليلتي ولا عيب فيكِ» وكقولهِ: «كالسوسنَّة بين الشوك كذلك خليلتي بين البنات» او ما نُسب اليها في سفر الامثال (٨: ٢٢): «الربُّ يملكني منذ بدء طرقهِ» وغير ذلك ممَّا تتَّفق الكنائس الغربيَّة والشرقية على تخصيصهِ بالعذراء الطاهرة. واننا نكتفي بذكر اقوال الملاك جبرائيل لها عند سلامهِ عليها: «السلام عليكِ يا

ممتلئة نعمة » وهو قول لايصح تماماً اذا كانت مريم خالية من النعمة الاوليَّة اعني البرّ الاصلي اذ تكون فاتتها لو خُلقت مدنَّسةً بالخطيئة الجدّية اكبر النعم واشرفها. كذلك لا يصح فيها قولهُ : « انكِ مباركة بين النساء » اذا لم تنل نعمة البراءة الاصليَّة التي خُلقت بها حوّاء في الفردوس

وفي هذه المقدمات كفاية فيمكننا الآن ان نتخطى الى ما اردنا بيانهُ اعني شهادات الكنائس الشرقية على حبل العذراء مريم بلا دنس فنسردها على حسب ترتيب حروف المعجم مباشرةً بالكنيسة الارمنيَّة ثم السريانية فالقبطيَّة فالكلدانية والمارونية فتكون الكنيسة اليونانية مسك الختام

١ الكنيسة الارمنيَّة

انَّ تعيُّد الكنيسة الارمنيَّة للبتول الطاهرة امّ الله لامرٌ مشهور (راجع مقالة حضرة الاب نرسيس صانيان في المشرق ٦ : ٧٥٢). ومما اثبتهُ البابا بنادكتوس الرابع عشر في كتابهِ عن اعياد السيد المسيح والطوباويَّة العذراء مريم (المطبوع في رومية سنة ١٧٥١ ص ٥٤٩) انَّ عيد حبل العذراء مريم بلا دنس كان جارياً في الكنيسة الارمنية قبل دخولهِ في الكنيسة الغربية منذ القرن التاسع. امَّا اعتقادها بهذه الحقيقة فيظهر جليًّا من الاوصاف العجيبة التي ينعت بها كتبة الارمن السيدة العذراء مما دخل في كتب طقوس هذه الكنيسة (١

قال يعقوب الاوَّل البطريرك (+١٢٨٧) في عيد ولادة العذراء : « في هذا اليوم نبتت من حنَّة تلك العوسجة اعني مريم العذراء التي اتَّقدت فيها النار الالهيَّة بنور لا يُدرَك فرأى بها موسى في سينا رمزاً عن البتول. اليوم اعطانا الحتلان الشرعيان يواكيم وحنَّة تلك الجزَّة السماويَّة التي تزل عليها الندى

١) راجع كتاب « التسابيح المريميَّة » المطبوع في البندقية بالارمنية واللاتينية سنة ١٨٧٧

فاطعمت النعمة وسال منها نبع الحياة (ص ٢) . وقال ايضاً : « انتِ الارض الناطقة والحقل الخالي من اشواك الخطيئة » (ص ٦)

وقال ترتان الكبير في القرن الثاني عشر : ايها الكلمة الالهي المولود من الآب قبل النور بلا والدة قد اخترت لكَ اليوم اماً بريئة من الدنس ولدتَ منها بلا اب (ص ١٤) . وقال : « انتِ هي امّ الرب والدة الله المرتفعة فوق السارافيم والكاروبيم انتِ تابوت العهد واناء الذهب والخباء السري الذي نزل فيه كلمة الاب »

وقال غريغوريوس الثالث البطريرك (+ ١١٦٦) في تسابيح عيد البشارة : « اننا لنعظمك جميعاً يا هيكل الله الطاهر من كل عيب ويا عوسجة غير محترقة التي حملت فيكِ نار اللاهوت التي لا تُطاق واطفأت نار الزلل في طبيعتنا البشرية » (ص ٢٠)

وفي هذه التسابيح الطقسية اقوال عديدة تشعر بهذا المعتقد فانها تارةً تدعو مريم « السارافيم الارضية » (ص ٦٤ موسى الخوريني في القرن الخامس) او « السارافيم المتجسدة » (ص ١١٠ بطرس الاوّل البطريرك + ١٠٥٢) بل « اسمى من السارافيم » (ص ٦٤ موسى الخوريني) و « ابهى من السماوات » (ص ٨٠ نرسي الكلاجيّ) . هي « الشجرة العطرية التي غرسها الله عينهُ وجعلها على مجرى انهار الروح فاثمرت في حينها ثمرة الخلود » (ص ٧٨ لـ) هي « مبطلة اللعنة التي تحت فلكَ هلاكنا واقامت امنا الخاطئة من سقوطها » (ص ٦٨ موسى الخوريني)

وهذه كلُّها اقوال لا تصدق في العذراء إلّم يُسلَّم بانها بريئة من الخطيئة الاصلية . بل جاء بعض الكتبة ما يصرّح بالامر واضحاً كقول جرجس الناركي في القرن العاشر : « انَّ مريم ابنة طاهرة للامّ الاولى الجانية فانها بريئة من جرثومة الخطيئة خلوة من لعنة الجنس البشري »

وكذلك في المكتبة الواتيكانية رسالة البطريرك الارمني كاتشدور ارسلها سنة ١٦٦٣ من حلب الى الكرسي الرسولي بايعاز الاب بُون اليسوعي يقول فيها ما تعريبهُ بالحرف:

« انا كاتشدور بطريرك الارمن وجميع طائفتنا نقرّ بانّ امّ الله مريم وُجدت طاهرة ومصونة تماماً من كل خطيئة اصليّة وهذا ما استفدناهُ من اقدم معلّمي كنيستنا »

٣ الكنيسة السريانية

انّ الكنيسة السريانية كانت قديمًا تحتفل في يوم واحد بميلاد العذراء وبحبلها البريء من الخطيئة الاصلية. ومن ثم تجد في الصلوات الطقسية التي تُتلى في ذاك العيد ما ينطق صريحًا بهذه العقيدة. فمن ذلك ما جاء في رمش العيد: « انّ صلاتها (حنّة) طارت الى السماء البهيّ وللحال حبلت حنّة بمريم بالبرّ بعد زمن العقر ». وهناك ايضًا وصف ادعية القديس يواكيم ثم يقول: ورأى الرحيم يوس يواكيم ولبّى دعاءهُ وللحال حبلت حنّة الصالحة بمريم البتول الطاهرة البارّة ». وفي فرض السحر يقول: « السلام عليكِ يا مدينةً محصّنةً التي لم تملك الخطيئة عليها قطّ » (١

ولآباء الكنيسة السريانية نصوص متعدّدة لا تُبقي شكًّا في معتقد طائفتهم ببراءة البتول من الدنس الاصلي. فمن ذلك قول القديس افرام كنّارة الروح القدس وهو يوجّه كلامهُ الى العذراء: « طوبى لكِ اذ قد زالت بكِ اللعنة التي الحقتها حوّاء بالاثاث » (في مدراش تهنئة العذراء بميلاد الرب). وقال ايضًا (في مدراش البتولية): « فليكبت ابليس خزيًا اذ يجد ان فسادهُ معدومٌ في مستودعكِ ». وقال في احد مداريشهِ النصيبيّة

١) راجع مجلة التمدّن الكاثوليكي سنة ١٨٧٦ (ج ٤ ص ٥٤٨—٥٥٠

يخاطب السيد المسيح: « انكَ انت وحدكَ وأمك تسوان حسنًا على الجميع اذ لا عيب فيك ولا شائبة في امك ». وقال يقابل بين مريم وحوّاء (ج ٢ ص ٤٢٧ من اعماله): اثنتان طاهرتان اثنتان سليمتا الغريزة مريم وحوّاء قد جعلتا متوازيتين فكانت الواحدة علّة موتنا والاخرى علّة حياتنا. وفي صلاة عيد انتقالها الى السماء يقال: « لقد أُعفيت مريم بروح القدس من لعنة الامّ الاولى لأنها لم تفتح قطّ باب الخطيئة »(١

ومن اقوال يعقوب النصيبينيّ في احدى تسابيحه: « كيف اصف صورة البتول مريم المتلئة من كل اصناف المحاسن. انّ الله قدّس جسدها فتشبه حوّاء. أمّا قبل شيوتها المشرة المحرّمة ». وهو القائل: « قد اختار لهُ العليّ بتولًا طاهرةً سبق فطهّرها وصانها لذاته بل خطبها لنفسه وشاء ان تكون وحدها بلا عيب برية من كل دنس فنزل وسكن فيها وهي الطوباويّة المملوءة كمالًا الطاهرة بالجسد والمقدّسة المختومة بالنفس ». وهذا تعليم القديس يعقوب السروجيّ بلا ريب فانهُ هو القائل: (٢ « لو وُجد في نفسها دنس او نقيصة لأكسس (ابن الله) لهُ امًّا اخرى سالمةً من الدنس ». وقال: « كما انّ مريم كانت بتولًا طول مدّة حياتها كذلك سكنت دائمًا القداسة في نفسها ». وقال: « انّ ابن الله برسالة روحهِ القدوس جعلها طاهرةً بارّة مباركة كما كانت حوّاء نفسها قبل ان تخاطبها الحيّة »

هذا وتضرب صفحًا عن شواهد اخرى لا تُحصى وصف بها الآباء السريان مريم باوصاف لا تليق الّا بمن خلت من كل خطيئة اصلية. ومن ثمّ

١) راجع منشور غبطة السيد البطريرك اغناطيوس افرام الثاني المطبوع في الشرفة (ص ٥-٨)

٢) راجع كتاب المير لانوره: De vita et scriptis S. Jacobi Sarugi episcopi, *Lovani* 1867, p. 187-195

لا عجب اذ اقرّ البطريرك اغناطيوس اندراوس سنة ١٦٦٣ معترفًا بعقيدة براءة البتول من الخطيئة الاصلية وفقًا لتعليم الآباء، فقال:

« انا الفقير اغناطيوس اندراوس البطريرك الانطاكي على السريان اثبت ما عرضهُ عليَّ الاب يوسف بُشوني اليسوعي في امر براءة العذراء مريم الكليَّة الطهارة من الخطيئة الاصلية واقرّ بانهُ موافق للتعليم الارثذكسي كما علَّمهُ كثيرون من الآباء الأقدمين ومن ملافنة الكنيسة الشرقية »

٣ الكنيسة القبطية

قد امتازت الكنيسة القبطية بعبادتها للبتول المنبوطة امّ الله. ومما تفرَّدت به انها خصَّت شهر كيهك برمَّته لمدح العذراء مريم ولها في صلوات ذلك الشهر اوصاف غاية في الحسن والرِّقة تجدها في كتاب الثاوتوكيات. فانَّها ليس فقط تطرئ عظمتها فتدعوها البتول الكلية القداسة (ص ١٢٥) المباركة بين كل النساء (٢٥٣) التي لا مثيل لها (٢٣٨ و ٢٦٤) وانَّها اعظم من الآباء والانبياء والقديسين (٦٨) وانور من الشمس (١٢٦) بل تسمّيها ايضًا امّ الاحياء (٩٥) مقدس البرارة (٢٤٨) شجرة الخلد (٢٠٦) وربَّما قابلت بين نقاوتها ونقاوة السارافيم والكاروبيم وصرَّحت بانَّها تفوقهم جميعًا بنقاوتها (ص ١٤٦) وتتقدَّمهم بثقة اعظم لبرارتها (٦٨)

وكثيرًا ما تشيد في خلوّها من كل دنس فتدعوها الاناء المختار الخالي من كل دنس (١٠٢) والتابوت الذي لم يقبل الفساد (٢٠٨) وعُلّيقة موسى التي لا تحرقها النار (٩٠ و١٠٨ و ١١٩) وفلك نوح المرتفع فوق المياه التي فيها يغرق الكل (٣٢٩) والحمامة البهية التي بشَّرت بالصلح بين الله والبشر (١٣٧)

واذا ذكرت آدم وخطيئتهُ استثنت السيّدة البتول فتقول انَّها خلاص

آدم وفرح حوّاء (٦٤ و ٨٢) وانّ بتوليم دخل آدم الى الفردوس بعد ان تناقل حكم الموت والفساد على كل جنسنا وعلى طبيعتنا جمعاء. اذ اتّبع آدم مشورة حوّاء فاكل ثمرة الشجرة (٨٧) وانبها مجد العذارى وامّ الله التي بها دُفعت اللعنة القديمة فتُتح باب السماوات (١٠٩). وفي التسبحة التي يترنّم بها الشعب في آخر القدّاس في اعياد العذراء بالعربية ما يؤيد هذا المعتقد لاسيّما هذين الدورين:

برية نقية من بطن امك ... عفيفة نقية في طول دهرك
سلطانة ابدية شبه ابنك ... ترفلين بالتمجيدات
انت شريفة دون الناس ... نقية من كل الادناس
وانانا منك الملاس ... تعظمك كلّ الاوقات

فهذه الاقوال وامثالها كثيرة قد جمعها حضرة الاب الكسيس مالون اليسوعي في مقالة مطوّلة يثبت فيها عبادة الاقباط لمريم العذراء امّ الخالق

٤ الكنيسة الكلدانية

آباء كنيستها الاوّلون هم انفسهم آباء الكنيسة السريانية فاقوالهم حجّة لدى الكلدان كما يستشهد بها السريان فلا حاجة الى التكرار. وهذه بعض نصوص أخرى اوردها الكلدان في تآليفهم. منها تسبحة القديسين يواكيم وحنّة ابوي العذراء. اقتطفها الكلدان من كتاب قديم وارساوها للاب يوسف اليسوعي سنة ١٦٦٣ فأثبتت مجلّة التمدّن الكاثوليكي ترجمتها اللاتينية في عددها الصادر في ١٨ ت ٢ سنة ١٨٧٦ وفي آخرها: «انّ الملاك بشّر حنّة بابنتها فجلت حبلًا بمريم مبهوتًا... لم تسقط (الابنة) بفخاخ الشيطان ولم يعمل فيها مكره وخبثه. ولم يستطع العدوّ مع كل قوّاته ان يمسّ براءتها بظفره»

وللجاثليق ايليّا الثالث المعروف بابي الحلم بن الحديثي اوصاف عجيبة

تنبئ باعتقادهِ ببراءة مريم الاصليَّة (ص٢١ من نسخة مكتبتنا الخطيَّة و ١٤ من الطبعة الموصليَّة): « السلام عليكِ ايتها السماء الثانية التي لمعت في بروج سمائكِ بوارق الرحمة وضرب في مروج احشائكِ سرادق العزّ والعظمة. السلام عليكِ ايتها الجزَّة السماويَّة التي ترشَّش عليها طلّ السما... يا حديقة الحكمة السمائيَّة التي نبتت على جداولها شجرة الاختصاص. وفردوس النعمة الروحانية التي خلق فيها آدم الثاني مفيد الخلاص... يا مقصورة الرحمة... وقدس الأقداس... انتِ هيكل الهياكل النافقة الذي لم يطأهُ اقدام البشر. بل حلَّهُ الاله بالرضى والمشيئة والإنعام المبتكر »

وللشاعر النسطوري الشهير جرجس وردة في القرن الثالث عشر ابيات عامرة في العذراء مريم يطري فيها طهارتها الفائقة على طهارة اللائكة. ومما قالهُ وكرَّرهُ فيها « انها فردوس عدن مغروس من الله » وانها « مقصورة شيَّدها العليّ بعزَّة قوَّتهِ » وانها « وحدها خالية من اثم حوَّاء »

وكذلك في أيَّامهِ اشتهر يوحنَّا الموصلي صاحب الدليل الروحي الذي همَّ بطبعهِ السيد الجليل ايليَّا ميلوس رئيس لساقفة ماردين في رومية سنة ١٨٦٨ ولهذا قصيدة طويلة (ص٢٥١—٢٦١) في مناقب العذراء ومما ورد فيها ما تعريبهُ: « من يستطيع ان يدرك او يفسِّر عظائم تلك البتول العفيفة البارَّة القديسة... التي قُدست منذ حُبل بها واختارها الله من الرحم » ومنها قولهُ: « مباركةٌ انتِ يا جزَّةُ رآها جدعون فعرف سرَّكِ لانَّ الندى الذي نزل عليكِ لم ينحدر على سواكِ والسيل الذي انصبَّ على كل الامكنة فافسدها لم ينزل عليكِ منهُ ولا نقطة واحدة »

٥ الكنيسة المارونية

انَّ اعتقاد الطائفة المارونية بحبل مريم البريَّ من الخطيئة الأصليَّة اشهر

من ان يُذكر. وقد جمع آخرًا الابوان الفاضلان القس يوسف حبيقة الراهب الماروني البكنتاوي وشقيقهُ الخوري بطرس شهادات متعددة من فروض الكنيسة المارونية تصدع ببراءة العذراء من دنس الخاطئة الاصليَّة فطبعاها في المطبعة اللبنانية في بعبدا مع نقلها الى الافرنسيَّة فنختار منها قليلًا من كثير. ورد في باعوث القومة الاولى (ص ٣٤): « يا مباركةً في النساء التي بواسطتها استوصلت لعنة الارض وحُكم اللعنة انتهى منها فصاعدًا ». وفي حساي ستار الميلاد (ص ٤٣): لذلك (اي المسيح) الذي حُبل به في الحشا الذي اتقنهُ باختيارهِ وحُبس في البطن الذي خلقهُ طاهرًا واشرق من الحضن الذي برأهُ مقدسًا وولد من البتول التي حفظها نقيَّة ».

امَّا صلوات التقديس فهي ملأى بالنصوص عن الحبل بمريم الطاهر لكنَّها حديثة العهد نكتفي بذكر ما يلي. فمنها (ص ٤٨): « انَّ الروح القدس قد ابان في نشيد الانشاد عن الحبل بك بدون دنس فقال كالسوسنة بين الاشواك كذلك قرينتي الجميلة بين البنات اللاتي سقطنَ في الاثم ». ومنها (ص ٥١): « انَّ مريم وحدها قبلت نعمة الروح القدس منذ وجودها في حشا امها ونجت من اللعنة العامَّة التي حلَّت بنا بتجاوز (آدم) للوصيَّة الاولى بجسارة ». ومنها في صلاة الصبح: « انَّ ملافنة اليمة الحقيقيين الذين تكلَّموا بالروح القدس اثبتوا لنا انَّ مريم ابنة حنَّة لم تتدنَّس بالخطيئة وقد انجلى الراي من تعليمهم الشريف ». وتقول في احد الالحان (ص ٥٧): « ويل لمن يكفر قائلًا انَّ مريم مكثت تحت استيلاء الشرير ولو زمنًا يسيرًا اذ حُبل بها من امها الطاهر »

ولا حاجة لايراد اقوال الآباء فانها قد سبقت في كلامنا عن الكنيسة السريانية. ونكتفي بشهادة البطريرك اسطفان الدويهي التي سلَّمها للاب بطُّون اليسوعي سنة ١٦٦٣ اذ كان خوريًا في حلب قال:

« انا اسطفان الدويهي الحقير بين رؤساء كهنة حلب ومرسل بجمع انتشار الايمان اعترف واقرّ ان سيدتنا الكوكب اللامع والطهر الساطع كانت خالية برينة من كل خطيئة اماً حالية واماً اصلية بل لم يُقضَ عليها بان تلطّخ بها البتّة بنعمة خصوصية من ابنها كما ورد في كتب طائفتنا المارونية والصلوات السريانية التي انّها الآباء القديسون والملافنة المختارون »

٦ الكنيسة اليونانية

كما انّ آباء الكنيسة اليونانية قد امتازوا بتآليفهم الفريدة وبشهاداتهم على كلّ التعاليم والتقاليد الثابتة الموروثة من الرسل فكذلك ترى اقوالهم عن براءة العذراء مريم من كل دنس اسطع دليلاً من سواهم

وما يجب استلفات النظر اليه اوّلاً انّ عيد الحبل بلا دنس شاع بادئ بدء في الكنيسة اليونانية وهو فيها قديم جداً. بيد انّهُ لم يُعرَف بهذا الاسم وانّما دُعي عيد حبل حنّة ولهُ رتبةٌ خصوصيّة وطقوس بهيّة وصلوات تقويّة تُتلى في اليوم التاسع من كانون الاوّل. ولهذا العيد ذِكرٌ في تيبيكون القديس سابا الناسك الشهير في القرن الخامس للمسيح. اما السمعاني فيظنّ انّهُ دخل في الكنيسة اليونانية في القرن الثامن فقط. ثم امر الملك مانويل كومنين في القرن الثاني عشر بان يكون من الاعياد الممتازة (راجع مجموع آباء اليونان ج ١٠٤ ص ١٠٧١—١٠٧٢ وج ١٣٣ ص ٧٤٩) والمقصود من هذه الحفلة بلا شك انّما هو اكرام حبل القديسة حنة بمريم بالبرارة والطهارة اعني نفس المقصود من الكنيسة الغربية باقامة عيد الحبل بلا دنس. وذلك يتّضح من الصلوات المثبتة لذلك اليوم في الميناون وغيره من الكتب الطقسية كما سترى. لا بل يرتأي العلماء الأثبات انّ الكنيسة اللاتينية اخذت هذا العيد من الكنيسة اليونانية لمّا رأت في الاحتفال به من اللياقة

ودونك الآن بعض نصوص الميناون كما طبعهُ الروم الارثدكس اقسامهم:

« قنداق القديسة حنة: اليوم تعيّد المسكونة لجبل حنّة الذي هو من الله. يا حنّة لقد سُرع ان يُنسج من جوفكِ برفيرة ملوكيّة. يا حنّة لقد حملتِ في جوفكِ العطر الذكيّ العرف » (ج ١ ص ٢٧٠) وفيه (ص ٢٦٨): « لتتباشر بايمان بجبل المولودة منها (يواكيم وحنّة) بجبال الهيّة امّ الهنا. . . . ان السماء الجديدة تُقام في بطن حنّة بالهام الله مبدع الكل ». وكل هذه الأقوال صريحة لا تحتاج الى شرح. واصرح منها قولهُ (ص ٢٦٩): « استجاب (الله) صلاتها (يواكيم وحنّة) ومنحها القديسة التي هي باب الحياة بالحقيقة فلنكرّم الجبل يا المقدّس »

وما ورد في الميناون تراهُ في بقية الكتب الليتورجية. ففي النشيد الذي يُتلى كل يوم لمريم العذراء يقال: « بواجب الاستحقاق حقًا تغبطك والدة الاله الدائمة الطوبى البريّة من سائر العيوب » فان كانت العذراء خُلقت في حالة الخطيئة الاصلية ايصحّ فيها هذا القول؟ لا لعمري. وكذلك ورد في كاترما الزبور ما حرفهُ: « انها وحدها بريئة وانها وحدها بلا عيب ولا دنس وانها مباركة ». وفي الاوديّة الخامسة اللحن السابع: « السلام عليك يا من ظهرت قبل الخليقة كلها مصطفاة لله ومنتخبة بجملتكِ بحسنكِ وجمال بهائكِ ». وفي اللحن السابع منهُ: « السلام عليكِ ايتها النقية انّ الحق قد وجدكِ وحدكِ سوسنة بين الاشواك من قداوتك مشرقًا فاتخذك عروسًا لهُ ومضيئة بضياء البتولية يا بريئة من كل عيب ». وفي الاودية الرابعة قانون الثرياديكوس: « السلام عليكِ يا من وجدها مُبدع كافّة الاشياء نقية وحدها منذ الدهور ولذلك اصطفاكِ هيكلًا طاهرًا لذاتهِ وقطن في احشائكِ مجيدًا تجديد الانام »

ومثل هذه الاقوال وغيرها كثير في المزّي والتيبيكون لو اردنا جمعها

لأتسع بنا المجال. وما يزيدها اعتبارًا انها كلها من اقوال آباء الكنيسة اليونانية لاسيما القديسين الاجلاء الذهبي الفم ويوحنا الدمشقي واندراوس الاقريطشي وفي اعمال هؤلاء الآباء وغيرهم ما لا يُحصى عدُّهُ من الشواهد الدالة الى تبرير العذراء من الخطيئة الجدية نقتصر بذكر بعضها

ورد في خبر استشهاد القديس اندراوس الرسول (مين ج ٢ ص ١٢٢٦) انهُ قال للحاكم: «كما انَّ آدم الاوَّل كُوِّن من الارض قبل ان يلعنها الله كذلك كُوِّن آدم الثاني من ارض عذراء لم تصبها اللعنة قطّ». وهذا الكلام موجود بحرفهِ في ليتورجيَّتي القديس يعقوب والقديس مرقس ولستشهد بهِ القديس عبدا البابليّ امام سابور لمَّا اراد قتلهُ

واورد تاودوريطس عن القديس هيبوليتس شهيد القرن الثالث (مين ج ١٠ ص ٨٦٣): انَّ تابوت العهد هو رمز عن الفادي وكما انَّ التابوت اصطُنع من خشب غير قابل للفساد كذلك المسيح من حيث هو انسان كُوِّن من خشب لم يعتهُ الفساد اعني من العذراء ومن الروح القدس»

وقد ذكر القديس ديونيسيوس الاسكندري في القرن الثالث ايضًا العذراء مريم في رسالتهِ الى بولس السيماطيّ وسمَّاها: «منزلًا لم تصنعهُ الايادي البشريَّة وابنة الحياة والابنة المباركة من رأسها الى قدميها والفردوس البتولي الحاوي لكنز ثمين»

وقال في القرن الرابع القديس يوحنَّا ذهب الذهب في ميمر عيد البشارة (راجع البرق الانجيليّ ج ٢ ص ٣٢٤): افرحي يا من طردتِ الموت الى العمق من حين كانت في احشاء أمها... القرية من اللاهوت الازلي والثالوث العنصري الفائقة على المواكب الشاروبيميَّة العالية السموّ وعلى الصفوف الساروفيميَّة»

وقال القديس اندراوس الاقريشطيّ في القرن السابع (في ميمرهِ عن

ولادة العذراء) : « لمَّا اراد فادي البشر الذي كوَّن آدم الاوَّل متَّخذًا ترابًا من ارض عذراء وغير ممسوسة ان يبتدل هذا التكوين الاوَّل بتكوين جديد وخليقة جديدة ويهيِّئ لهذه الغاية تجسدهُ اصطفى من كل الطبيعة تلك العذراء الطاهرة الفائقة النقاوة المأخوذة بيننا »

واوضحُ من هذا ايضًا قول القديس يوحنا الدمشقي في اواخر القرن السابع : « انَّ لي قولًا آخر اسمى واعلى شأنًا انَّ الطبيعة المغلوبة من النعمة وقفت مرتجفةً ولم تجسر ان تدنو . . . فتقدَّم نسل النعمة بل استمرَّت عقيمةً الى ان اتت النعمة بثمرتها (١) »

هذا ومئات من شواهد أخرى تزيل كلَّ ريب في معتقد الكنيسة اليونانيَّة بجبل العذراء مريم الطاهر والخالي من كل عيب ودنس . ولو لم يكن لدينا برهان آخر سوى اسم العذراء في اليونانية لكفى فان اليونان لا يدعونها الَّا « Παναγία » اي الكلية القداسة . ولا قداسة تامَّة حيث ملكت الخطيئة الاصلية

ومن ثم لا عجب ان مكاريوس الثالث البطريرك الانطاكي سلَّم للاب يوسف بسون صورة ايمانهِ في هذه العقيدة سنة ١٦٦٣ فامضاها بخاتمهِ قائلًا :

« انا الفقير مكاريوس بطريرك مدينة الله انطاكية العظمى اقرُّ صحَّة هذا التعليم الذي اوضحهُ الاب يوسف بسُون اليسوعي عن سيِّدتنا مريم الكلية القداسة اعني انَّها بريئة وحرَّة تمامًا من الخطيئة الاصلية كما فسَّر عدد وافر من الآباء القديسين ومعلِّمي الكنيسة الشرقية الاقدمين »

وهذا المعتقد نفسهُ قد اثبتهُ الاب غاغارين اليسوعي الروسي الكنيسة

---

١) راجع مقالةً مطوَّلة في هذا الشأن ردَّ فيها حضرة الاب انطون صالحاني في البشير على منشور غبطة بطريرك الروم القسطنطيني في ما يتعلَّق بعقيدة الحبل بلا دنس وطبعها على حدةٍ سنة ١٨٩٧

الارثذكسية الروسية بمقالة جميلة عدّد فيها اقوال هذه الكنيسة في جبل البتول الطاهر وطبعها في باريس سنة ١٨٧٦

فمن ذلك موعظتان جليلتان في جبل البتول العذراء البريّ من الدنس الاصليّ الواحدة للواعظ الروسيّ الارثذكسيّ الشهير لعازر برانوفتش اسقف تشرنكوف في كتاب البرق الانجيليّ المطبوع في كياف سنة ١٦٧٤. والاخرى لانطون راديشيلوفسكي رئيس احد ادبار كياف الارثذكسية في كتابه « حديقة مريم امّ الله » المطبوع في كياف ايضاً سنة ١٦٧٦. وكلاهما يدافع عن هذه الحقيقة بالفاظ عسجديّة غاية في الرقّة والوضوح لا تبقي ريباً لمرتاب. وكذلك موعظة ثالثة في مولد العذراء مريم ليوانيس غالياتفسكي رئيس اكادمية كياف في القرن السابع عشر يقول فيها (ص ١٧٢): انّ الخليقة الاصلية قد دنّست كلّ البشر وليس احد نجا منها الّا العذراء مريم الكلية الطهارة... ولمّا يصرخ كل انسان مع صاحب المزامير « بالخطيئة حبلت بي امي » مريم وحدها نجت من هذه اللعنة بنعمة الله ولذلك سلّم عليها جبرائيل قائلاً: « السلام عليكِ يا ممتلئة نعمة الربّ معكِ »

وهناك شواهد اخرى عديدة اوردها الاب غاغارين من اقوال الكتبة الروسيين وليتورجيتهم لا يسعنا ذكرها لضيق المكان. ويجمل القول انّ الكنائس الشرقية كلّها دون استثناء تشهد بلسان معلّميها وتقليدها المتواصل وكتبها الطقسية بعقيدة حبل مريم العذراء البريّ من الخطيئة الاصلية. ونختم مقالنا بما كتبهُ في هذا الشأن صاحب قصص الانبياء المسمّى بالعرائس تأليف الثعلبيّ (ص ٣٢٧ من طبعة مصر سنة ١٢٩٨): « ما من مولود الّا والشيطان يمسُّهُ حين يولد فيستهلُّ صارخاً من مسّ الشيطان الّا مريم وابنها »

ميمر مفقود

في نياح والدة الله للقديس اندراوس الاقريطشيّ

نوطئة

اندراوس الاقريطشيّ احد مواطني بلادنا المشاهير ولد في دمشق في عصر القديس يوحنّا الدمشقي. وجاء في السنكسار اليونانيّ انهُ عاش في ايّام صفرونيوس البطريرك الاورشليميّ المتوفى سنة ٦٣٩ م. وما لا يُشكّ فيهِ انهُ خدم بدّة الكنيسة الاورشليميّة بصفة رئيس شمامسة وانّ ثاودورس بطريرك بيت المقدس ارسلهُ الى المجمع السادس الملتئم في القسطنطينية سنة ٦٨٠ فحضرهُ وشارك الآباء في الحكم على البدعة المرثلية. ثم جُعل رئيس اساقفة على اقريطش وتوفي سنة ٧٢٠ م. وهو من ائمّة الكنيسة اليونانيين كما يظهر من اعمالهِ المثبتة في مجموع الآباء اليونان في المجلد السابع والتسعين من مجموع مين (ص ٧٩٠–١٤٤٤). واعمالهُ هذه الباقية عبارة عن ٢١ ميمرًا في موادّ شتّى ثم مقالة في اكرام الصور المقدّسة. ثم فروض طقسيّة اوّلها طقسٌ خاصّ بجبل القديسة حنّة بالبتول مريم (ص ١٣٠٥) يليهِ طقوس أُخرى عديدة وتسابيح من جملتها قانون التوبة الكبير. وفي آخرها قصيدة يمدح فيها احد معاصريهِ يُدعى اغاثون

هذا وقد امتاز القديس اندراوس الاقريطشي بكتاباتهِ البديعة عن العذراء الطاهرة لهُ فيها ميامر غاية في الحسن منها ثلاثة في وفاة امّ الله (ص ١٠٤٦–١١١٠). الواحد منها وهو الثالث (ص ١٠٩٠–١١١٠) منقول الى العربية كمن يُتلى سابقًا في كنائس الملكيين ومنهُ في مكتبتنا نسختان. وللقديس نفسهِ ميمر رابع في وفاة البتول جاء ذكرهُ في مقدّمات مين على اعمال القديس اندراوس (ص٧٦٥) حيث ورد انهُ يبتدئ بهذه الالفاظ « οἱ τὴν ἐν πνεύματι θεωρίαν » وهذا الميمر لم يُنشر بالطبع حتّى الآن وقد وجدناهُ معرّبًا مع الميمر الثالث السابق ذكرهُ في كتابين خطّيين من خزانة كتبنا الشرقية. احدهما حديث العهد كُتب في القرن الثامن عشر لا تاريخ لهُ (ص٤٧١ – ٤٨١) والآخر يرتقي الى القرن الخامس عشر (ص ٢٦١–٤٠٤) وكلاهما يتّفق في الترجمة لاختلاف بينهما الّا في بعض الفاظ قليلة. ومن قرأ هذا الميمر تحقق انهُ معرّب عن الاصل اليوناني لِما يشمّ في تعريبهِ من رائحة التراكيب اليونانية. ولعلّ المعرّب هو عبد الله بن الفضل الانطاكي كما هو مصرّح باسمهِ في صدر احد ميامر المجموع الثاني

(ص٥٧). ولما كان هذا الاثر من اجلّ آثار النصرانية القديمة انتهزنا الفرصة لنشر احسن مقاطيعهِ بحرفها دون اصلاح عربيتهِ بغية عيد ميلاد الحبل الطاهر. وفي نيتنا ان ننشرهُ تماماً مع ذكر روايات النسختين وترجمتهِ الفرنسويَّة وتذييلهِ بالحواشي لافادة المستشرقين قريباً ان شاء الله

الاب ي. ل. اليسوعي

ميمر في نياح والدة الاله

لابينا الجليل في القديسين اندراوس الاقريطشي رئيس شماسة اورشليم وراس اساقفة اقريطش ومؤلف قانون التوبة الكبير قولاً (كذا) امتدح بهِ رقود الكلي قدسها العالي على كل شرف مجدها الدائمة بتوليتها الباقية بعد الولادة عذرها سيدتنا مريم والدة الاله في الخامس عشر من شهر آب يوم رقودها

يا معشر المؤمنين ان يستشرقوا بنور منظر علم الروح الذي لا هيولي لهُ والزائد الصفاء ضوءاً للمعرفة النيرة المضيئة وياجميع المرشدين بتعاليم اسرار الروح الى اعتقادات مناظر اللاهوت العالية تعليماً ظاهراً. أقبلوا بنا لنتجرَّد معاً من كل الاشتياق على العالم الارضي والهيولي ولنمتزج بجملة الروح امتزاجاً سرياً متسارعين معاً الى الوليمة العقلية والكثيرة الضياء التي لوالدة الاله بعد ان نكون اولاً قد تخلَّصنا من غمام الآلام الارضي والقتام العالمي ولابسين ضوء الاشراق المتحدر من فوق من عند ابي الانوار لاننا نكون مبتهجين ابتهاجاً سالماً بعلم وعملٍ ولامعين من كل جهةٍ بحسن الفضائل والمسيح الشارق نفسه من شمس الآب بلا ابتداء ولا زوال مثل شعاع الشمس من تورهِ مؤثراً ان يدعونا الى عندهِ اذا اتممنا دعوةً سريَّة ويوضح هذا بياناً مما صنعهُ بوالدتهِ بحسب البشرة التي انحدر اليها من فوق من صقع الشرق الذي يفوق العالم وغاص في طبيعتنا وها هو اليوم ينقلها من اصقاع الارض بما انها ملكة كل طبيعة الناس...

(ثم يشبه القديس حملة السر الذي يحتفل بهِ بمائدة روحية يدعو اليها المؤمنين بتفسيره

لهم فيشيع بها نفوسهم. ويقول انهُ يستند في روايته عن ذكر رقود العذراء على ديونيسيوس الاريوباجيتي تلميذ بولس الرسول وعلى ابروتاوس في رسالته الى تيموثاوس تلميذ بولس ايضاً ويذكر عنها تفاصيل وفاة البتول بحضور الرسل فيقول ايروتاوس:)

لمَّا التأمنا نحن كما تعلم وهم وكثيرون من اخوتنا الجليليين لمعاينة جسد عنصر الحياة وقابل اللاهوت . وكان حاضراً يعقوب اخي (كذا) الاله وبطرس غاية المتكلمين في اللاهوت ورأسهم واكرمهم ثم ان رؤساء الكهنة كلهم بعد ان سبحوا خيرية عنصر اللاهوت التي لا تستقصى قدرتها كل واحد منهم حسب طاقته فكان هو زمام الجماعة مع ناطقين اللاهوت . . .

(ثم يتسع في ذكر العجائب التي جرت ليمكن الرُسُل والتلاميذ ان يحضروا من اقاصي العالم ثم يقول:)

لكن علموا بنا نبصر ما هي العناية وما هو قدر بها. اللاهوت المطرب ان كان ذلك يكون ممكناً بان يُرى باعين عقليَّة. فكان اذاً مشهداً كامل الجمال لزارة اشراق النور الذي ظهر في ذلك الوقت من ذاك المسكن البتولي المغبوط من الله الذي كان على النعش طريحاً يحيل أبصار الناظرين الى عدم ابصار موعزاً ان يعلي ما تمجد به ويُنهي به اعلى الابواب السماوية اعني جسد والدة الاله ذو (كذا) الثلثة الاذرع والاربعة الجوانب الطاهر البريّ من الدنس. اناء البتولية الفائق الظلافة (كذا). المسكن الذي وسع تنازل كلمة الله كلها. الآلة العذرانية إناء الروح. التمثال المضاهي الاله. تاج الملك الذي لم تنظمهُ يد. ملكة كل الطبيعة الانسية. مقدَّمة الحلة الآدمية التي أُلهتْ. صنع (ويُروى: صيغ) الحلة العقلية التي لا تُسبى. الهيولي التي للتجسد الالاهي الكلي نظامها. المسكن الكلي جمالهُ الذي للكلمة الصانع الكلّ. السرور الذي للعالم اجمع. وكنز الآمال المكتومة. سماء من جعل الارض سماء للفائقة الطوّ. الطينة التي لصانع الكل والخالق الحاذق. المفضلة بالاختلاق المشابه في كل انواعه الصورة الالهية. دكّان (ويروى مكان) الفايضات الالهية المرهوب. فيا لها

من اعين مغبوطة حقًا التي ابصرت هذه الاشياء. والشفوات التي مدحتها. ويا لها من لسان وصوت جليلين علّما هذه الاشياء ونطقا بها . . .

(وبعد هذا يتبع ابروتاوس ذاكرًا معجزة في وصف محاسن البتول عند ولادتها. ثم يردف قائلًا :)

وحينئذٍ قامت الملائكة العقلية محيطةً بالنعش محاطةً لا تُرى وكما اظنّ ان نفوس القديسين كانت معهم حاضرة التي يذكرها مصحف التسابيح ويسميها عذارى بعلم سرّي مطرقات لشخوصها وزافّات اياها ومودعات الى مذبح الله فلذلك صار واجبٍ مقدمة مصطفين الرسل سكارى من الروح الالهي وبكر الفرح السري تقلوا عقولهم الى الذهول فبدأوا من هينا بتلك التسابيح الالهية واحدًا فواحدًا يستبدلون بعضهم لبعض يتناوب قايلين : « قد رحل عسكر الله من مظلّات قيذار الى المظلات الغير الهيولية وللحياة معيدةً وتسلمت المظلة الناموسية التي هي اصل الرسم للتابوت الفائقة الزينة التي رسمها الناموس. وارتفع ستر الهيكل والستر الذي فوق الابواب العلويّة ليحتضن باب الاله والملكة التي تعلو علوًا ممالك المسوات احتضانًا ملوكيًا. ايها الملائكة اقبلوها لابسين بياضًا ويا كافة الناس امدحوها واستعاروا مدينة الله الملك الكبير التي تكلم عنها في كل موضع بمجيدات. ايتها الامهات والعواتق مجدوا التي هي وحدها امًا وبتولًا. ويا صبايا ويا عرائس تقدموا مثل هي بريّة من التعريس بين الصبايا والنقية من الاقتضاض التي حبلت بما لا يُدرك وحدها. ويا عذارى ارقصوا مرتلات للحمل البتولي. يا والدات ويا امهات جولوا مودعات عدم اقتضاض صانعًا ولدًا (كذا). ايها الامم امدحوا ويا جميع الالسن اطربوا هللوا يا جميع قبائل الارض لوالدة الاله ابتدوا بالتسابيح وبالصنوج هللوا عظموا مجدوا رتلوا. يا مريم ارفعي الدف واخرجي قدّام العذارى واسبقي. يا داود تناول القيثارة واعلن صوتك وامدح

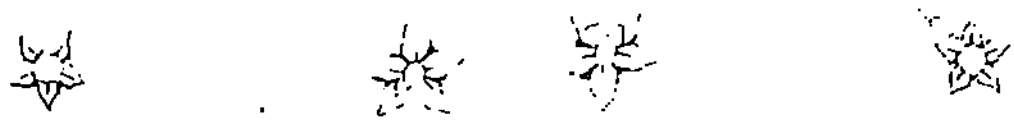

الملكة . ارقص ازفن اقرع القيثارة استدع العواتق واجمع خلق المغنيين ورتب الصفوف وليحاضروا (كذا) حول السرير وليتبعوا خلف السرير وليجولوا حول المقبرة قايلين : ها تابوت مجد الله الجديدة التي فيها الجرّة التي كانها ذهب وعصا هرون التي افرعت ولوحي العهد . ها صدر الكتب التي عنها كانت تهتف اوحية الانبياء . ها السلّم التي رآها يعقوب رئيس الآباء التي شاهد عليها الملائكة نازلين وصاعدين . هذه هي باب السماء التي قال عنها ذاك : ان هذا الموضع لمهول وليس هذا الّا بيت الله وهذا باب السماء . ها العرش العالي المتسامي الذي عليه رب الجنود جالس حسبما اعلن اشعيا الاوفر من الانبياء . نظرًا بالروح . ها مذبح الاستغفار الذي في قدس الأقداس المظلّة السرّية التي فيه والموضع الذي لا يُدخل . فهو وقتًا ما مظللًا بالاجنحة الساروفيمية وحينًا ما باستشراق يسوع عليه يكون مغفرًا لخطايانا... ها ينبوع البتاء الذي ينقص فهلموا يا موتى بالخطايا فاستزفوا . ها عيون عدم الاقتضاض الذي لا الم له فتعالوا يا ذوي الآلام فاستقوا . ها انهار الحيوة الدائم جريها فتعالوا اجمعين فاعدموا الموت . فيا ابنة آدم ويا والدة الاله ويا امًا لا رجل لها ويا بتولًا والدة ابنًا ويا صنعة الذي اصطُنع فيكِ اصطناع زماني ولم يزُل من خاصيته الازلية . ايتها الهيكل الالهية والاتانة الترابية ويا اصطوانة مائتة ويا عمودًا محيًا لا مرشدًا اسرائيل الجسداني اذ كان هاربًا بل منيرًا بلا ضلال لاسرائيل الروحاني الى نور المعرفة الالهية . ويا سحابة منيرة ويا جللًا لا مظللًا شعب اليهود الذي لا حفاظ له بل لشعب الله المصطفى ولأمّته المقدسة . عنكِ سبق كل الانبياء فاكرزوا . موسى اولًا لمّا رآكِ دعاكِ عوسجة فقال : لاعبرنّ وابصرنّ ما هو هذا المنظر العظيم العجيب . عنكِ كان يستعطف المسيح داود جدّ الاله قائلًا : قم يا رب الى راحتك انت وتابوت قدسك . عنكِ ايضًا هو نفسهُ سابقًا ممثلًا شخوصكِ تقدّم فرتل قائلًا : اغنياء الشعب

يستنيرون وجهكِ. وزعم كل مجد ابنة الملك باطناً. عنكِ سبق اشعيا النبي فهتف قائلاً: العذراء تحبل وتلد ابناً ويُدعى اسمهُ عماتوئيل. عنكِ سبق رجل الشهوات دانيال العظيم فدعاكِ جبلاً كبيراً. وعظيماً قد قُطع منهُ حجرٌ منحوتٌ بغير ايدي بشريَّة لا مأخوذاً مقطوعاً لكن ليس مفصولاً. عنكِ تنبأ حزقيال لمَّا رآكِ باباً فقال: هذا باباً مقفلاً نحو المشارق وليس يدخل فيهِ احدٌ الَّا الربّ إله اسرائيل يدخلُ وحدهُ ويخرُج ويكون الباب مقفلاً. عنكِ قال اشعيا ايضاً: سيخرج قضيب من اصل يسَّى ويكون اصل يسَّى آية الامم عنكِ سبق مصحف القسايس فرمز رمزاً اكتم سراً فقال: من هي هذه الصاعدة من البريَّة مبخرة بدخنة اغصان العود والمرّ واللبان ومن كل طيوب العطَّار. وقال ايضاً: ها سرير سليمان حولهُ ستون من الاقوياء من اشداء اسرائيل. وقال ايضاً: ان سليمان عمل لهُ عمارية (كذا) فصنع اعمدتها فضة ومتكأها وفرشها برفير وباطنها مرصع بالجوهر. انتِ جبل صهيون الجبل السمين الجبل الجبن الذي سرّ الاله ان يسكنهُ... انتِ الصحيفة التي كتبها الله التي كُتبت فيكِ الكلمة الالهية بغير نطق... انتِ هي مركبة الله التي ربواتها مضاعفة. اذ قدمتِ لهُ لمَّا تجسد الوفا مخصبين. انتِ سفط الطيب الجديد الذي للطيب الذي لا ينقص. انتِ بهجة زيت الادهان. انتِ دخنة الطيوب العقليَّة. انتِ العرش العالي وباب سماء السماوات الشاهق الذي على المشارق وزهر قند الاقتضاض وجنَّة التحنن وينبوع الخلاص والمنارة المناوعة الضياء والمائدة المشابهة الشعاع. والمنطقة المماثلة الذهب والارض الحاملة الطيب والتابوت الحامل الاله. باي ايادي نكفّنكِ باي سواعد نحملكِ يا من حملتِ من لا يُطاق ولا يسعهُ شيء. وما هي اكفانكِ وما هي الاقماط وما هي الحلل وباي شفولتٍ نمدح شخوصكِ واي صلاة نعمل عليكِ مرثيةً على رمسكِ وباي طيوبٍ نطيب جسدكِ الطيب النسيم الطاهر المملو قدساً التابع صفحاً

الفائز عدم البلى الحاوي البقاء الفائض نبع الشفاء منكِ المتأله الذي فيه الكمال وبه الخلاص

فلذلك عن كل شيء تقرب لكِ هذه الكلمات : مغبوطة انتِ في النساء وفي جيل الاجيال . مباركة انتِ في السماوات ممجدة في الارض لانكِ انتِ لما كنا مشتتين عن الله صالحتِ بيننا . بكِ اضمحلت عداة الخطيئة وبطلت قضية الموت وحالت لعنة الجدّ الى فرح . فالكل يسبحون لكِ معنا قائلين : المجد لله في السموات وعلى الارض السلامة وفي الناس المسرّة . فانطلقي بسلام انطلقي استعظمي وفوق الخنوخ استعلي واعلى من ايليا تراقي . هناك حيث الخير الذي لا يموزه شيء حيث انهار استنباع النور الدائم البقاء واودية النعيم التي لا تنقطع وفراديس البقاء حيث لحن المعيّدين واصوات المبتهجين وترتيل الملائكة المقرّبين الذي لا ينقضي . ومع هذا تنعمي بجمال ابنكِ وابتهجي بالفرح الذي لا ينتقص بالقبطة التي لا توصف حيث الموضع الذي لا شيء يفوقهُ في المعقولات ولا في المحسوسات ولا في شيء من التي كانت او تكون او صارت او يمكن ان تعقل

فتسلّم ايها الحبيب قوّة السرّ وان يكن ناقصاً عن الاستحقاق كثيراً لكنهُ ليس بناقص عن نشاطنا لكنك ستطاب ومن ذاك الذي من اجلك انسكب وتنازل الى القرار ليرفعك . ولأقول ما هو اعظم من هذا (الذي) تأنس ليصنعك الاهاً بالروح ويعطي الادنى الافضل كي من الجهتين تصنع التصاعد في قلبك اعني من علم وعمل لتكون كاملاً وثابتاً حتى تبلغ الى قدّ رجل كامل وتامّ الى قدّ سنّ كمال المسيح الذي لهُ المجد والعزة مع ابيهِ وروح قدسهِ الآن ودائماً والى اباد الدهور كلها امين

العذراء مريم في الشعر العربي

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ علو مقام العذراء مريم عليها اشرف سلام في فلك الكنيسة ومناقبها الفريدة وفضائلها السامية لمَّا شحذ قرائح الشعراء في كل زمان بين الامم النصرانية فلا ترى شيئاً افتخر بنوابغهِ الَّا ذكر عنهم قصائد رنَّانة جادت بها قريحتهم الوقَّادة في مديح تلك التي تدعوها الكنيسة « سلطانة السماوات والارض ». وما الصلوات الطقسيَّة والفرائض الكنسيَّة في كل الطوائف المسيحية في الغالب سوى منظومات رائقة وانشيد شعريَّة بليغة المعاني رقيقة النظم شريفة الالفاظ انشدها آباء الكنيسة اليونانية والسريانية واللاتينية فجاءت من ابدع المآثر العقلية التي يجد فيها الادباء مناهل صافية يستقون منها المعاني المبتكرة والتعابير المنسجمة فضلاً عمَّا يلقاهُ المتعبدون من الغذاء الجوهريّ لترقية ارواحهم وخلاص نفوسهم

ولا يُستثنى الشعر العربيّ من هذا الحكم منذ النهضة الادبية التي ظهرت في بلادنا في اواخر القرن السابع عشر. امَّا القرون السابقة فلا تجد لها في السيِّدة مريم الَّا شعراً نادراً وذلك لاسباب منها انَّ الرُّتب الدينية لم تُقسَّم قبل ذاك العهد باللغة العربية اللهمَّ الَّا في كنائس قليلة للملكيين فلم يجد النصارى داعياً لنظم القصائد الدينية في هذه اللغة. ومنها ايضاً ان الشعراء النصارى الذين سبقوا القرن السابع عشر ضاعت دواوينهم في الغالب او لم يبلغنا من اقوالهم الَّا بعض المتفرِّقات التي لا تتجاوز مضامينها معاني شعراء زمانهم من مدح شريف ورثاء كريم ووصف موصوف حسن او زهد في

دنيا وغير ذلك من المقاصد الادبية. امّا المنظومات الدينية فلم يجد الرواة فائدة في ذكرها. الى غير ذلك من الاسباب التي يطول هنا شرحها على انّنا اذا بحثنا عن تلك الآثار وقفنا على بعض المنظومات التي تنبئ بتعبُّد الشعراء للبتول الطاهرة. واقدم شعر ورد فيه اسم مريم العذراء انّما هو بيت لشاعر جاهليّ يُدعى عمرو بن عبد الحقّ ذكر فيه اسم المسيح ووالدته عليهما السلام:

وما قدَّس الرهبانُ في كل بيعةٍ ... ايلُ الايلينَ المسيحُ بن مريما

ويُروى « ايلُ الايلينَ عيسى بن مريما ». قالوا ومعنى الايل رئيس النصارى. وقالوا هو الراهب. وهذا اصحّ لانّ الكلمة سريانية « آكمـلـا » معناها الزاهد والمتنسك. فجعل الشاعر المسيح كبير النسّاك ومثالهم العظيم

وممّا نجدهُ من بعد ذلك في مجاميع مخطوطة قديمة من القرن الخامس عشر والسادس عشر اناشيد روحية واغاني تقويّة بالشعر العامي كان النصارى يتداولونها ويتغنّون بها في كنائسهم وفي بيوتهم وكانوا ينظمونها زجليّات على اوزان موسيقية عربية او يتّخذون لها الحانًا مشهورة او يترنّمون بها على طريقة ما يدعونهُ بالمعنّى. وفي مكتبتنا الشرقية عدّة مجاميع من هذا الصنف البعض منها بالخطّ العربيّ والبعض بالكرشوني لا يُذكر مصنفوها غالبًا. وهذا مثال اقتطفناهُ منها وهو في اصول صوفيان:

باشرتْ قولا ... قومْ عذّالْ ... في حبّ من لا ... لها مثالْ
قالوا تسلّا ... قلتُ محالْ ... والصبر ولّى ... عن صابني

كم في حماكِ ... مثلي جريحْ ... يرجو لقاكِ ... يا ام المسيحْ
مضنى جواكِ ... نحوكِ يصيحْ ... مريم عساكِ ... نحوهُ تلتفتي

عاين سناها ... موسى الكليمْ ... نارًا اتاها ... نورٌ وسيمْ
فهي اصطفاها ... مولى عظيمْ ... امًّا اختاها ... بالمحبة

فاعجب لبكرٍ طهرًا ستْ إدراكَ فكرٍ يومًا علتْ
شرفًا لقدرٍ حتَّى غدتْ تسمو بقدرٍ كلَّ طغمةِ

ومِمَّن اشتهروا في هذه الزجليَّات في القرن الخامس عشر جبرائيل الاسقف الماروني الفرنسيسي المعروف بابن القلاعيّ من لحفد المتوفَّى سنة ١٥١٦. لهُ مدائح متعدِّدة في والدة الاله منها واحدة طويلة في مولدها العجيب بعد عقر ابويها وبشارة الملك لهما بمريم وحبل القديسة حنَّة بها بريئة من الخطيئة الاصلية ولولا طولها لكنَّا اثبتناها. وامتاز بها شاعر ملكيّ يُدعى ميخائيل بن ساتم لدينا شيء من مدائحهِ في العذراء. ولم نعرف من تفاصيل حياتهِ شيئًا (راجع المشرق ٥ : ١٦٧). وقد عُرف ايضًا احد السريان الكاثوليك كان اسمهُ ضعفي كرنوك حُميلي من آمد ثمَّ سُقف على ماردين باسم طيموثاوس ورحل الى اوربَّة وصنَّف عدَّة كتُب منها كتاب جكلهُ زجليَّات ومدائح تقويَّة طبعت في بادوا في ايطالية سنة ١٦٩٣ بالعربية والايطالية. واكثرها في العذراء مريم كقولهِ من مديحةٍ في مقام الرست:

باسمك يا بتول مريمْ نظمتُ ذا المديحْ لانَّ فيكِ صار خلاص آدمْ
واقتديتِ من الضريحْ لهذا جميع العالمْ اليكِ يزعق ويصيحْ
ابا طهر الطهاره ويا تاج العذاره انتِ شفيعة للتصاره يا ام المسيحْ

الآب من اعلى السما اصطفاكي يا مريمْ والابن منك تجسَّما لخلاص العالمْ
وروح القدس زادكِ اكرامْ في كل الاعصار
انتِ نصري وغاية فخري وفيكِ فكري يا اكثر الفاخر علويا

وكذلك يفتخر الكلدان بمداريش القس خدر الذي عاش في القرن الثامن عشر. وفي مجاميع كل هؤلاء اشياء كثيرة تدلُّ على رقَّة وحسن ذوق وتُقى يجد المؤرخ فيها شواهد ساطعة على اعتصام الكتائب الشرقية بجبل العذراء الطاهرة

*

ومن الآثار المرعية التي سبقت النهضة الادبية ما صنّفهُ احد شعراء الروم الملكيين اسمهُ سليمان بن حسن الغزّي كان مطرانًا على غزّة في القرن الرابع عشر او قبلهُ لكنّنا لم نقف على تاريخهِ بضبط. ولهُ ديوان شعر كأنهُ قصائد دينية حسنة وشعرهُ جيّد مع ما فيهِ من الابيات غير الموزونة. وفي مكتبتنا الشرقية منهُ خمس نسخ مختلفة الواحدة منها كُتبت في القرن الخامس عشر بل قبلًا كما يظهر من خطّها وورقها. وقد وجدنا لمؤلف هذا الديوان في مخطوط يحفظهُ حضرة الاب قسطنطين باشا تاريخهُ سنة ١٦٩٠ م مقالةً مسجّعة عن الايمان عنوانها « برهان الامانة ». وفي ديوانهِ جملة قصائد عن البتول الطاهرة وابنها نختار منها ما يلي. قال في بشارة العذراء:

ألا شرفٌ لمريم في العذارى ... وفخرٌ في جميع الاصفياء
ومن ذا خصَّ غيرك بالبتولة ... هُنيتِ بما خصصتِ من العلاء
اتاها بالبشارة جبرئيلُ ... ملاك السرّ في حُلل البهاء
فقال لها السلام فلا تُراعي ... باركةً تكوني في النساء
بحقّ تقبلين الآن حبلًا ... بفاروق عظيم الكبرياء
يكون لهُ على يعقوب ملكٌ ... الى دهر الدهور بلا فناء
فقالت للملاك وكيف هذا ... وما بشرٌ تقرّب من وداتي
فقال عليكِ روح الله يأتي ... وقوّتهُ تحلُّ من العلاء
ومن تلدين فالقدوسَ يدعى ... وابن الله يُسمى في الملاء
فقالت انني أمَةٌ لربي ... فأقبلُ ما اتيتَ بلا إباء
فصدّقت البشارة بابتهاج ... وتمَّ بذاك قول الانبياء
ولم يخصص بهذا الامر الّا ... لمريم وهي انقى الانقياء
ففخر آل داوُود (كذا) وفخرٌ ... بام النور والدة الضياء
فانَّ لكم جا في الارض مجدًا ... وما بين الملائك في السماء
اليس الخلق كان جميع سقامٌ ... فاضحت مريمٌ سببَ الشفاء
انتهم بالخلاص فاقتدوا ... بذاك من الخطيئة والبلاء
وكان لآدم من قبلُ وعد ... فنَّ على يديها بالوفاء
ألا في ذكرها ابدًا سلامٌ ... جديدٌ في الصباح وفي المساء

تولاها وليٌّ وهو يرجو شفاعتها غدًا عند القضاء

وقال ايضًا فيها من قصيدة طويلة:

يمرمَ أمّ خلاص البشرْ صفا آدم بعد طول الكدرْ
لإطلاق اسرى جميع الشعوب من الموت في ابنها والضررْ
فيا لكِ من ولدٍ اوجبتْ لآدم جبرة ما انكسرْ
جا ثمّ ما اثبت الانبيا وما قبل من اجلها في السيرْ
جميلةُ وجهٍ كشمس الضحا واشرقُ من ضوءِ وجهِ القمرْ
وصورتها في جميع الورى تفوق صفاء جميع الصورْ
تكفّلها زكريّا النبي وكان بنذر ابيها أسرْ
ومرضعهُ عندهُ لم يزل عظيم الحلّ شديد المطرْ
يدلُّ على حلمها صبرُها عن الآب والام عند الصغرْ
نشت في كرامةِ قُدس الاله ومن خلف استارهِ تستترْ

ثم ذكر زواجها بالقديس يوسف الى ان قال في بشارة الملاك اليها:

وشخص الملاك تراءى لها فارعبها وجههُ اذ بدرْ
وقال لها أبشري أبشري فانكِ حبلى بابن البشرْ
فقالت لجبريلَ من اين لي ولادٌ ولم يدنُ مني ذكرْ
فقال لها روح قدس الهي تُظلّكِ مثل ظلال الشجرْ
ويولد منكِ رجاء الشعوب كما قالت الانبيا والنُّذُرْ

وقال في الختام:

ومن بطن مريم نلنا الحياةَ وانهزم الموتُ منّا وفرّْ
وصارت ذخيرتنا في المعاد الى فوز إتمامِ المذخّرْ
لقد رحم الله انسانهُ ومنهُ اليهِ اعاد النظرْ
ظفرنا برفعة ملك السماء ولولاكِ ما صحّ فينا ظفرْ
فطوباكِ طوباكِ يا من جما نجدّد ما كان منّا دثرْ
فطوبى لمستشفع في الصلا ة باسمك عند البكا والسهرْ
فاستغفروا ذنب من قالها ولم يتمّ قولهُ فاختصرْ

*

فلمّا كان النصف الثاني من القرن السابع عشر هبّ بين نصارى سوريّة

روح جديد حملهم على اتقان الدروس العربيّة وذلك اوّل تلك النهضة العجيبة التي نجتني من اثارها الجنيّة حتى يومنا هذا. وكان ابتداؤها في حلب الشهباء. وجبرائيل بن فرحات فضل سابق في هذا المضمار كما تشهد عليه اعماله التي وصفها حضرة الاب الفاضل القس يوحنا منش في العدد الاخير من المشرق. وله الديوان الشهير الذي يغني اسمهُ عن وصفه وقد ضمّنهُ طيّب الله ضريحهُ في مديح العذراء مريم قصائد وشذرات لا تقلّ عن ربع المجموع والشهرة هذا الديوان لا تنقل منهُ الّا ابياتًا قليلة تنويهًا بفضله فمن ذلك قولهُ في براءة العذراء من الخطيئة الاصلية:

سموتِ يا بتولةُ في العذارى ... على كل الانام عُلًى وفُقتِ
خُلقتِ دُرَّةً لا عيبَ فيها ... كانكِ مثلما شئتِ خُلقتِ

وقال في المعنى من قصيدةٍ واجاد:

أجيدي المدحَ ناظمتي اجيدي ... لمريمَ إنّما بحرُ الحُسُوبِ
إلهٌ خصّها دونَ البرايا ... ورقّاها الى أوجِ السُّمُوِّ
دعاها امّهُ والامُّ بكرٌ ... فيا فوزَ من هذا البلوِ
اتى منها إلهًا جلَّ قدرًا ... تعبًّا حلَّ في بُرجِ القُصُوِّ
براها ثُمَّ برّاها وأبرا ... ثُقاها التامَّ من أسرِ العُدُوِّ
فأولدها لهُ أمًّا وبكرًا ... بناسُوتٍ عليٍّ في العُلُوِّ
هيَ أيّنتهُ آدمَ الانسان لكن ... متى قد كان في حال السُّمُوِّ
ولم تعرف خطاء الجد اصلًا ... وهذا القُدسُ من ذاكَ الخُلُوِّ
دنا منها إلهٌ حلَّ فيها ... وهذا الطُّهرُ من ذاكَ الدُّنُوِّ
بولدِها اطمأنَّ الخلقُ طُرًّا ... ومَن بالسجنِ حسُّوا بالعُدُوِّ
فإني يا بتولةُ في العذارى ... نجيبُكِ في الرَّواحِ وفي الغُدُوِّ

ولهُ في قلب مريم الطاهر:

يا قلبَ مريمَ يابن الله منطبعًا ... أكرم بقلبٍ بنارِ الحُبِّ مطبوعِ
فأثّرت فيهِ بالمعنى فضائلهُ ... فألّفت بين مرئيٍ ومسموعِ

ولهُ ميميّتهُ الشهيرة التي ضمّنها كل معنى شريف يقول فيها:

لو كانَ للأفلاكِ نطقٌ او فمُ ... لترنموا في مدحكِ يا مريمُ
أنتِ التي وردَ الالهُ مؤنساً ... منها وفيها شأنها يتعظمُ
وبروحِ قدسٍ حازَ منها جسمَهُ ... متقدساً وبقدسهِ يتجسمُ
فبأي مقدارٍ أشبهُ عظمها ... حتى يُشبّهها الالهُ الاعظمُ
إن قلتُ شمساً فالكسوف يعيبها ... امّا جاها فكلَّ يومٍ يعظمُ
أو قلتُ بدراً فالخسوف يشينهُ ... امّا سناكِ فكلَّ يومٍ يضرمُ
أو قلتُ كاروبيم عرشِ العلا ... فسموُّهم بسموِّ شأنكِ يرغمُ
او قلتُ سارفيم طغمات الدجا ... لولا وليدكِ ما سروا وتظلموا
أو قلتُ طغمات الملائكِ كلهم ... لكنَّ سنامَ مع جمالكِ يظلمُ
لسنا نرى شبهاً يوازي حسنها ... الّا ابنها ذاكَ الالهُ الاعظمُ
لا غروَ أنَّ الابنَ يُشبهُ امهُ ... إنَّ اشبهَ الابنُ أمّهُ لا يظلمُ

وقد اشتهر في عصر فرحات احد مواطنيهِ وجاراهُ بالفضل والفضيلة بعد ان تتلمذ لهُ وتعقّب آثارهُ زيد الخوري نيقولاوس الصانع الذي نشرنا ترجمتهُ في احد اعداد سنتنا المنصرمة (ص ٩٧—١١١). ولهُ ايضاً في ديوانهِ الذي يتداولهُ الناس اقوال جميلة في السيّدة الطاهرة. منها قولهُ من قصيدة:

يا نور عرشِ الله انتِ صفوتهُ ... وخيرُ خلقٍ يرجّى نيلُ جدواكِ
كأنَّ مرآكِ مرآةُ الالهِ ترى ... أسنى بجوهرهِ في حسنِ مرآكِ
لن تنتهي قدرة الله العظيم ولكنَّ انتهت مذ خصت إبداعَ معناكِ
ان كان يُلدُ ابنُ الله ثانيةً ... يُرى شبيهكِ بل حاشاكِ حاشاكِ

ولهُ في وردية العذراء واسرارها الخمسة عشر:

وردية العذراء امّ الله قد ... جاءت بخمسةَ عشرَ سرّاً فائقا
فرحٌ وحزنٌ ثم مجدُ كلُّ سرّ ... يحتوي معنًى اكيداً صادقا
فتعبّدَنَّ بها لمريمَ نحطَّ بآل ... غُفران إمّا كنتَ فيها واثقا
وأطلبْ شفاعتها وقدّم لابنها ... بعد انسحاق الروح قلباً وامقا

ومنها ايضاً موشّحهُ وهاك دورهُ الاوّل:

اثني اشكو فواجعي الألم ... لم يعُدْ لي من يجلّد

زجَّ في جبلي بقاعِ الندَمِ والشَّجى مني بمَرَدْ
رَشَقَتْني شهوتي بسهمِ أورثَت قلبي لَدَدْ
غيرَ اني ارتجي في مريمَ صفوةِ الله الاحدْ
خصَّها اللهُ بأسنى النِّعَمِ عندَ ما منها وردْ

ومِمَّن اشتهروا ايضاً في حلب على عهد الطيب الاثر جرمانوس فرحات ومدحوهُ بشعرهم ونثرهم نعمة ابن الخوري توما الشاعر الحلبيّ الملكيّ الكاثوليكيّ الذي اثبت حضرة الفاضل الاديب القس جرجس منش ترجمتهُ في المشرق (٥ : ٣٩٦) . وفي خزانة مكتبتنا الشرقيَّة نسخة من ديوانهِ ترى فيها قصائد عديدة شائقة في مدح امّ النور ورد فيها ذكر جبلها الطاهر بلا دنس . ومِمَّا قالهُ في قصيدة طويلة انشدها في صيدنايا :

اكرم بها امـاً وهي بكرٌ وقد داتت لهـا الابكارُ في المشاهدِ
سمتِ الملائك والانام تقدماً فالكلُّ وافوهـا بجنة ساجدِ
جلَّت عن الاوصاف اذ فاقت على نعتِ البليغ ودرِّ نظم الناثرِ
بل ليس يوجد في الوجود لوصفها كفوٌ سوى الابن الوحيدِ الواحدِ
منهُ عليهـا لا يزال سلامهُ مترادفـاً بتواتر ونوادرِ

ولهُ ايضاً يشكر فضل البتول مضمِّناً :

تاقِ اني عن مديحكِ لم أَحِلْ وهواجسي قد ردَّدتهُ بفكرهـا
يا من خُلقتِ بريئةً من وصمة في بدء كونك بالحياة بسرها
فبفضلك نلنـا الخلاص ولم نكن لولاك الاَّ في الذنوب ووزرهـا
فلكِ ثناء المدح ما ابتغتِ من نعـائكِ الفضلى باوفى وفرهـا
والشكر ما جلَّت صفاتك في الورى عن ان يُفَاهَ بحمدها وبشكرها
فلأشكرنَّكِ ما حييتُ وان امتْ فلتشكرنَّكِ اعظمي في قبرهـا

ولهُ عدَّة قصائد يستنجد بالبتول ويطلب شفاعتها كقولهِ :

في يديكِ امَّ ربِّي اتقي سلمتُ روحي
فانقذيني من ذنوبٍ صرتُ فيها كالطريحِ
رحتُ فيهـا مستهامـاً مائلاً مع كلِّ ريحِ

فـدا قلبي جروحـاً في جروح في جروح
يـا لقومي مَن يجيري من قضا العدلِ المريح
ايس لي الأكِ ملجـا ارتجيـه في قروحي
جئتُ ارجو منكِ عفوًا مستجابـاً من سـيح
فاقبليني عبـد رقٍّ واقبلي مني مـديحي

وفي هذا الزمن عينهِ اشتهر في الشهباء شاعر آخر من طائفة الملكيين الكاثوليك ممَّن دافعوا عن ايمانهم لمـَّا اثار البطريرك الدخيل سلبسترس الاضطهاد على الكاثوليك. نريد ابراهيم الحكيم الحلبيّ الشاعر المطبوع من اسرةٍ شريفة لا تزال حتَّى اليوم معروفة بفضلها. ولدينا منهُ خبر رحلتهِ الى مصر في اواسط القرن الثامن عشر سننشرهُ قريباً في المشرق ان شاء الله. وممَّا ختم بهِ روايتهُ ابياتٌ قالها متغزّلاً في مديح مريم البتول:

تُرى لي حبيبٌ ان تَقُلْ مريمٌ لِمَا — تأى ذا الوفا حتى يقولَ لها لَمَا
لإفراط ما فيهِ من السقم والضنا — ومن رعبهِ طول الدياجي السُّها سَهَا
لقد ضرَّهُ ثقلُ الذنوب مع الوفا — ولم يُصْغِ سمعًا حين ربُّ النُّهى نَهَا
وقد أغفلَ الدَّاءَ الضالُّ اضالني — وعطَّى ولو لم يأتني برؤُها وهى
لقد عفتُ كلَّ الحبِّ من دون حبِّها — فكل ودادٍ ما عدا ودُّها دَهَا
فحسَّامَ ارجو في الانامِ مودةً — وقد زادَ وجدي دون احباجها جها
فيلوا اليها واملكوا العزَّ والسنا — فمن كان منسوبًا الى عزِّها زَهَا
لقد جُمعت فيها المحاسنُ كلُّها — فحقَّ ولم يُعْدَ يَسْعَ حسنًا نُهى
واذ لم يكن في الناس ندٌّ لحسنها — ظننَّا اباها البدرَ او أنَّها هُما
لذا حارت الالبابُ في حسن وصفها — ولم يقدر أن يُحمى ثنا فضلها لَمَا
اذا اسفرت اخفى ضيا الشمس نورُها — وادهشَ ابصارَ الورى ما جا جَا
فيا حبَّذا ذلي لديها وحبَّذا — دماي أنْ تشا قد لذَّ لي بَذْلها لَمَا
هي العروةُ الوثقى وهي الملجأُ الذي — يقينا اذا ما الخطب من ضدِّها دَهَا

ومن ادباء ذلك الزمان ايضاً شاعر آخر حلبيّ المنشإ عاش على عهد

الشماس عبدالله زاخر والخوري نيقولا الصائغ وراسلهما ثم رثاهما بعد موتهما. وهو انطون بيطار من طائفة الروم الملكيين الكاثوليك. وقد وقع في يدنا من نظمه شذرات ننشرها عند سنوح الفرصة. منها موشح قاله في ميلاد الياس بن جرجس عائدة الحلبي سنة ١٧٥٢. ختمه بهذين الدورين في مديح الطوباوية العذراء:

من أتى جبريل اهداها السلام ... وارتضت بالامر عن قلب سليم
كم أرتنا صُنع آيات عظام ... بالبتولية والسر العظيم
هذه هي سلطانة الرُسل الكرام ... من نشا في حجرها الطفل الكريم
ابنة الآب وامُ الابن ما ... عرسها إلاّ روح القدس
رزقها للأنبيا قد رُجا ... مذ رأى موسى لهيب القبس

هي ذات الفقر بل عين الملا ... في رضاها لذّ لي خبزُ المَلَل
ذكرُها المنبوطُ ما بين الملا ... تجدُ النوكَ به كلُّ المَلَل
وهواها خالصَ القلب ملا ... من هواها (كذا) ليس يشكو من ملل
فتيقّظها ونادي (كذا) مرعا ... احفظي مولودنا بالرّغم
وانشدِ افّهَ بتاريخٍ بما ... يُحفظ الطفل برب الحرس

هذا ما عثرنا عليه من اقوال شعراء القرن الثامن عشر. امّا في القرن التاسع عشر فاوّل من نبغ فيه فهو الشاعر الرومي الملكي الكاثوليكي المرحوم نيقولا الترك له ديوان كبير يتضمّن من كلّ فصول الشعر بابًا منهُ نسختان في خزانة كتبنا الشرقيّة. وقد راجعناهُ لعلّنا نجد فيه اقوالًا عن البتول فلم يخب املنا. فانّهُ كتب للوجيهين انطون صوصا وايوب نصرالله ابياتًا يهنئهما فيها بعيد نياح السيّدة. وهذا مفتتح القصيدة الاولى:

بيكمُ العيدُ البهيُّ الاجملُ ... والموسمُ السامي السعيد الافضلُ
عيدُ والدةِ الالهِ مباركٌ ... ومقدّسٌ فيهِ السرور الاكملُ
يا سعدَ مَن قد صام صوماً لائقًا ... في قربهِ فلهُ الجزاء المجزلُ
فليهنكَ المولى بهِ وكذا بهِ ... لا زلتَ تطوي والسلامةُ تشملُ

وقال في الثانية :

ياذا الجلال المفرد والمنقبات الخمسد
جنيك عبدٌ افضلٌ فيهِ اتقالُ البيد
تلك المطهّرةُ التي هي في السماء ممجّدة
سور النجا بحرُ الرجا امُّ الخلاص المنجّدة
بكرٌ الى سُبل الهدى والاستقامةِ مُرشدة
طوبى لنفسك حيث قد داست لها متبدة
ولك السرور بيدها والتهنئاتُ المسعدة

وقد اشتهر بعد نيقولا الترك شاعران آخران ملكيان عاشا في أيامهِ مدّة ومدحا مثلهُ الامير بشير الشهابي لكنهما سبقاهُ بشعرهما المطبوع زيد بطرس كرامة والشيخ ناصيف اليازجي وقد أكّد لنا الثقة انهما نظما في العذراء مريم ابياتاً لم تزل مخطوطةً . امّا ما طُبع من شعرهما فلم نجد فيهِ ضالّتنا المنشودة

وكذلك لا تجد في مآثر المرحومين مارون ونقولا النقاش منظوماً في العذراء مريم الاّ انهما ضمّنا بعض التراتيل التقويّة في مدحها لا تزال شائعةً بين الجمهور وهي مثبتة في المجموع المطبوع في مطبعتنا

ومن شعراء العصر الذين اكثروا من امتداح السيدة البتول الخوري الفاضل الطيّب الذكر ارسانيوس الفاخوري (راجع ترجمتهُ في المشرق ٣ : ٦٠٦) فانّ ديوانهُ المخطوط يحتوي نيفاً وعشرين قصيدة في والدة الاله . ولعلّهُ سبق الجميع في مدحها بعد اثبات عقيدة براءتها من الخطيئة الاصليّة . فمن ذلك موشّح يصف بهِ افراح ذلك العيد البهيج هذه بعض ادوارهِ .

وافت البشرى بما يولي الجزلْ بصدورِ الحكم من قاضٍ عدلْ
لاح شمسُ الحقّ والبُطلُ انصرمْ وهلالُ الشكّ وراءهُ العدمْ
واليقين اليومَ اضحى كالعلَمْ جالساً في العرش بالعزّ وقلْ

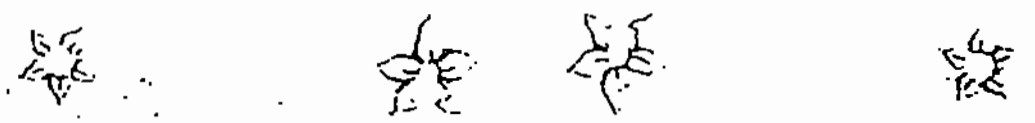

حدّد الحبرُ مقالاً وانثنى مبحثٌ عن مريمٍ ذاتِ البها
شبتاً للقول فيها انّها حُفظت من دنسِ منذُ الحَبَلْ
خصّها الله بكونٍ اقدسٍ وسمتْ طهرًا ببرِّ أنفسِ
وحباها فيضُ روح القدسِ لابنٍ اسّاً دعاها من أزَلْ
وافت البشرى لاكرامِ البتولْ بعروزِ الحكمِ من حبرٍ عقولْ
أنشطَ الالبابَ بل سرَّ العقولْ وكساها بهجةً ما قد حصلْ
ألهم الله النبيلَ الاعظما يؤسّسَ الناسَ اثباتاً بما
وال الايمان ذا الحكم انتمى والذي يعصاهُ يُرديهِ الحَبَلْ
يا لبكرٍ طهرُها تجّى الملا فناها لنبوم قد جلا
ما ترى يا صاحِ فيها كم حلا عِقدُ نظمٍ زانهُ درُّ النزلْ
يا عروس النشد قومي كلّلي عرسَ لبنان وجدًا سربلي
في علاها رتّلي بل هلّلي بنشيدٍ لا يحاكيهِ مَثَلْ
فهي عرشٌ فاق مجدًا للقدمْ وهي ذاك البابُ والطَّوْد العظيمْ
وهي تابوتُ لعهدٍ والكليمْ قد رأى شيئًا لها فوق الجَبَلْ
قِسْطُ منّ طور سينا والغمامْ وعصا هارون ذيّاك الامامْ
فُلكُ نوحٍ برج داود الهُمامْ جزّةٌ قد عمّ اجراها البَلَلْ
يا بتولًا قد اتتنا بالسلامْ بوّأتنا بالعلى اعلى مقامْ
جواها قد شفينا من سقامْ وبرينا من كلومٍ وشَلَلْ

وقال ايضًا في ذلك العيد:

فبشارة الإثبات للحَبَل النقيّ م بمريم العذراء سيّدة الملا
في انّ ذا الحبل الشريف مطهّرٌ من كل عيب ثم من دنسٍ علا
وبريئة من وصمةٍ وخطيئةٍ اصليةٍ والسر في هذا انجلى
سُرّت قلوب المؤمنين باسرهم وسرورها الاكوانَ طرًّا قد ملا
سنة الثمان لمائةٍ مع اربعٍ ألحق جما خمسين مع الفٍ تلا

ومن شعراء الازمنة الاخيرة الذين مدحوا مريم السيد الجليل الموحوم

جرمانوس الشمالي مطران حلب على الموارنة (راجع ترجمتهُ في المشرق ٥ : ٨٥٠). ففي ديوانهِ نشيدٌ فيها افتتحهُ بقولهِ :

قدّموا للبكر مريمْ قدموا الحب الثمينْ

ومنها :

انّما الامُّ الامينهْ عندها كنزُ المونهْ قرية الملجا المصونهْ برج داود الحصينْ

من دنا منها يُصانُ من نأى عنها يُهانُ فهي للجاني جنانُ أنبتت حبي الدفينْ

سوسنٌ بين القنادِ عرفها في كل نادِ ذكرها يحلو لشادِ فانشدوها هاتفينْ

جنة ضمن الحمارى قدمت خمرَ العذارى سكرها صحو السكارى شكرها خبز البنينْ

ابنة الآب السماوي امُّ إبنهِ المساوي يا عروس الروح داوي روحنا في كل حينْ

صانها المولى بريّهْ زانها بين البريّهْ فاغمنوها بالتحيّهْ وافرحوا يا عابدينْ

ومنهم ايضاً شاعر مطبوع اشتهرت قصائدهُ في لبنان وهي حتى الآن لم تنشر بالطبع ألا وهو الخوري المأسوف عليهِ يوحنا رعد الغزيري وقد تلطّف اهلهُ الكرام فارسلوا لنا احدى قصائدهِ في مريم العذراء بناها على معنى آية سفر الزامير (٤٤ : ١٣) : « لوجهك يصلّي كل اغنياء الشعب » وها نحن نختار منها الابيات التالية :

يا كرامَ الحيّ وآلَ المالي حدّثوا في امجاد ذات الجمالِ

وانظموا في مديح فخر العذارى شعركم من مستفخرات اللآلي

أشغل الكون مدحُها وثناها مذ غدا سابحاً بحر الزوالِ

ملأ الارض والسماء سناها فغدا كل ما نرى كالاثالي

كلُّ مدحٍ في غير مريم لغوٌ كل حسنٍ في غيرها كالخيالِ

قد تجلّت يوماً على طور قلبي فعلا وأناف كلَّ الجبالِ

تيّمتني اوصافها اشغلتني عن سواها فها انا لا ابالي

ومنها: صورة الحسن والفضائل طرًّا ما لها قطُّ في الملا من مثالِ
صفوة الخلق وجا الخلق يزهو ربّة المجد في النسا والرجالِ
قرّة العين مشتهى كلّ قلبٍ ورجانا من سالف الاجيالِ
امّ يسوع امّ ربّي وامي بهجتي غبطتي وروحي ومالي
ليت شعري باي لفظٍ بديع انظم المدح والثنا وأغالي
لقّنوني يا ساكنين حماها بعض ما تنشدونها في الاعالي
اتحفوني من لفظكم بنصيبٍ ان وصف العذراء يعلو مقالي
عدّدوها يا فائزين بنورٍ من سناها يحلو قيام الليالي
عدّدوها يا من وصلتم لديها ورأيتم ما لا يحيطُ ببالِ
يا فتاةً جلاياها الشمس حقًّا تردهي في عين الملي بالدلالِ
فقتِ قدرًا في العالمين جميعًا وعلوتِ الاملاك مع كل عالِ
داركي من التي عليكِ اتكالًا يا رجاء النفوس كوني اتكالي

وكذلك جارى العلمانيّون ارباب الاكليروس في مديح مريم فحلّوا دواويتهم بما نظموهُ في مناقبها. من ذلك ابيات وردت في ديوان المرحوم سليمان بن ابراهيم صوله الروميّ الملكيّ (المتوفى سنة ١٨٩٩) كتبها على صورة السيدة:

هذي البتول التي حلّ الاله بها فاطلب شفاعتها يا اجا الجاني
هذه التي اختارها عرشًا لقدرتهِ أَلّ باري وأنحزى بباهي شأنها الثاني
هذه التي من ظلام الجهل تخرجني مبرّرًا قبل ادخالي بأكفاني
ما كنت احسبُ لولا حسنُ صورتها انّ الاله اتى في زيّ انسانِ
يا دوحةً الله يا بحر المراحم يا غوثَ الخلائق من قاصٍ ومن دانِ
مالي سوى حبّكِ المغروس بي شرفٌ يا اشرفَ الخلق يزري كلّ شيطانِ
حاشا حنوكِ ان يرضى بتهلكتي وبحرَ جودكِ ان يقضي بحرماني

ونختم هذا النظر في شعر اهل عصرنا بابيات نقتطفها من ديوان المأسوف عليهِ عزتلو الشاعر الشهير حنّا بك الاسعد بن ابي صعب فمن قولهِ:

مليكة طهرٍ مذ تناهى عفافها لدى الله رقاها مقامًا وسؤددا

تسامت على الاملاك قدرًا ورفعةً ... وفاقت بوصفٍ جاء بالكون مفردا
هي البكر ثم الامُّ لابن البتولِ تُرى ... وعرسٌ لروح الحقّ تُدعى لدى الندا
تفوق النهى مدحًا وتسمو السُّهى عُلًا ... وتخبر ذُكا نورًا وبصري بها الندى

وقال فيها قصيدتهُ الشهيرة التي مطلعها:

ما لي لسانٌ ولو فرَّضتُ اشعارا ... ولا جنانٌ ولو جوَّدتُ افكارا

الى ان قال:

ما الخَلقُ ما الكون ما الافلاك قاطبةً ... ما السحبُ ما القطر ما قد فاض مدرارا
يأتون مدحًا لمن جاءت موحَّدةً ... بين البرايا بوصفٍ بالملا سارا
عذراء طاهرةٌ بكرٌ ووالدةٌ ... اسمٍ به لقبًا فيهِ النُهى سارا
تُفاخر الشمسَ في طهرٍ سما شرفًا ... وخرَّت لطلعتها الدين أنوارا
وضرَّأت فلكَ التقوى فضائلُها ... وطهرت في سناء الطهر اطهارا
عينُ البرارة ذات البر كنز جدًى ... بحر الندى صيِّر الاشرارَ ابرارا
أمٌ بلا دنسٍ ما مسَّها بشرٌ ... شمس التقى لن ترى في الشمس اكدارا
يمُّ المواهب غيث الرَّفد من قِدَمٍ ... كم سحَّ في الكون تقيًا وامطارا
لم يأتها من بنا جدِّ الورى خطأٌ ... بريئةٌ لن ترى التدنيس ادهارا
سليمةٌ لن يمسَّ العيبُ مدحتها ... كريمةٌ فتح الاكوانَ افخارا
سازت من الله خلقًا طبق بنيتها ... هل يولد المرء في الدنيا كما اختارا
نالت مقامًا من المثأن ليس لهُ ... بندٌ وزانت من الجنَّات أخدارا

وختمها بقوله:

هي ابنة الآبِ أمٌ لابنهِ دُعيَت ... عرسًا الى الروح لن تختال انكارا
اقامها الله غوثًا للانام ومن ... قد جاء مستشفعًا لم يأتِ أخطارا
يا من تسامت لدى الكاثوث في صفةٍ ... عجيبةٍ ادهشت عقلًا وابصارا
رقِّي الينا ورقِّينا التضائل كي ... نلقى المهيمن يوم الحشر غفَّارا
لكِ السلام من الرحمان ما طلعت ... شمسٌ وابدى الورى للحق تذكارا

هذه نبذٌ قليلة جمعناها من دواوين الشعراء النصارى دون ان نتعرَّض لأعمال الذين لم يزالوا في قيد الحياة طالبين من العذراء ان تُطلق السنتنا على مدحها وتهبنا ان نطبع في قلبنا حبَّها ونجعل قدوتنا امثالها وفضائلها

التعبُّد للبتول

والرسالات اللاتينية في الشرق

نظمَ للاب يوسف خليل اليسوعي

ما كاد السيد المسيح يوجه رسلهُ الكرام الى انحاء المعمور ليبشروا الامم ويعلموهم الحقائق الخلاصية حتى قاموا باوامر الرب حقّ القيام ثم لم يعتم ان تقفّى آثارهم ابطالٌ هجروا على مثالهم الاهل والاوطان وتفرّقوا في كل فجٍ ليدعوا الشعوب الى دين النصرانيّة وهم يبذلون في سبيل الايمان النفس والنفيس لا تأخذهم في نشرهِ لومة لائم. وقد تتابع هؤلاء الدعاة الفضلاء جيلًا بعد جيل وتناوبوا لبذر الزرع الجيّد في انحاء العالم. واعصارنا الاخيرة قد عاينت من اعمالهم ما يُقضى منهُ العجب ونالت اوطاننا من همتهم نصيباً صالحًا ولو حاولنا وصف مساعيهم لاستغرق تعدادها مجلّدًا بل مجلّدات

واليوم حسبنا ان ندوّن على صفحات هذا العدد من المجلّة المختصّ بوريل عقيدة الجبل بلا دنس ما لهؤلاء المرسلين من الفضل في نشر التعبُّد للبتول الطاهرة في الشرق وذلك بغاية الاختصار لئلّا تخرج بنا سعة المادّة عن الحدود التي تحرّيناها. وانّما نجني من كل روضةٍ زهرةً تتقدّمها كطاقةٍ زهيّة لعرش ملكة السماء التي طبع المرسلون على حبّها فلم يفرقوا في بشارتهم لسمها الحلو عن اسم ابنها الالهي

١ الرهبانية الكرملية

سبق الرهبان الكرمليّون في الشرق جميع الفئات الرهبانيّة. فان تقليدهم المتواصل يجعلهم كأخلاف لذلك النبيّ العظيم ايليّا الحيّ الذي حظي على جبل الكرمل برؤيا تلك السحابة التي جيئت بها الارضُ بعد محلها ثلاث سنوات. والسحابة على رأي الآباء والمفسرين رمزٌ الى سرّ

جبل العذراء بلا دنس (راجع مقالة حضرة الاب انستاس الكرملي في اصل رهبانيَّة الكرمل . في المشرق ٥ : ٦٣٢) . ثمَّ صار الكرمل بعد ظهور النصرانيَّة مقام لعبادة العذراء لاسيَّما براءتها من الخطيئة الاصليَّة تألَّبت اليه جماهير المؤمنين وانقطع فيه قومٌ منهم الى الطريقة النسكيَّة واقفين نفوسهم لاكرام البتول الطاهرة . ومن اعيادهم التي كانوا يقيمون فيها الحفلات البهيجة عيد الجبل البريّ من الدنس ارصدوا له يوماً في السنة وهو اليوم التاسع من كانون الاوَّل على مألوف عادة الكنيسة اليونانيَّة . ومن الكرمل انتشر هذا العيد الى الكنائس المجاورة (راجع مقالة الاب انستاس ٦٣٦)

وزاد الآباء الكرمليون على فضلهم هذا فضلاً جديداً لمَّا اصطفت العذراء مريم رهبانيَّتهم في اواسط القرن الثالث عشر وقدَّمت لرئيسها القديس سمعان سترك ذلك الثوب الذي جعلتهُ كشارة ابنائها الاخصَّاء . واعدةً بانَّ كل من يلبسهُ بتُقى يسلم من نيران الجحيم . فلبَّى اولاد الكرمل دعوة سيدتهم وافرغوا كنانة جهدهم لنشر عبادة العذراء وثوبها المقدَّس في كلّ اقطار العالم الكاثوليكيّ . وقد وجدوا في قلوب المسيحيين الشرقيين تربةً صالحة زرعوا فيها الحبّ والاكرام لوالدة الله وخصوصاً في رسالاتهم المتعدِّدة في بلاد الشام ولبنان وما بين النهرين والعراق والهند فحيثما حلُّوا استغزُّوا المسيحيين بامثالهم ومواعظهم وتآليفهم الى اكرام امّ الخلَّص المجيدة . وقد اضحى بهتهم ثوب الكرمل كعلامة تفرز الكاثوليك ممَّن سواهم وكسلاحٍ يردُّون به كلّ غارات العدوّ الجهنَّمي

٢ الاباء الفرنسيسيون

ظهرت الرهبانية الفرنسيسيَّة في بلاد الشرق منذ القرن الثالث عشر . وكان منشئها الهمام القديس فرنسيس سبقها الى مصر وفلسطين فبشَّر بالايمان واشاد بذكر البتول التي خصَّ قسٌ وابناءهُ بخدمتها . ولمَّا اضطرَّ الى ان يعود

الى ايطالية لم يلبث رهبانهُ ان اجروا الى الشرق وضربوا اطنابهم بين الطوائف المسيحية وقد اختاروا لسكناهم الاماكن التي وجدوا فيها آثار الفادي وامهِ العذراء. فاقاموا فيها المعابد وشيَّدوا الكنائس التي كان يؤمها الحجَّاج من اقاصي البلاد فيتبرَّكون بزيارتها. ومن الآثار المريمية التي حفظوها لعبادة المسيحيين من آفات الدهر مقام سيِّدة البشارة في الناصرة ومعبد زيارة العذراء لنسيبتها في عين كارم وكنيسة ظهور المسيح لامهِ بعد قيامتهِ وكنيسة رقود مريم في جبل صهيون وكنيسة قبر العذراء القريبة من جسماني وآثار أخرى في صفورة وقانا وغيرهما كانت من اقوى العوامل على نشر العبادة للبتول الطاهرة استحقُّوا بحفظها شكر كل المتعبدين لامّ الله. هذا وانَّ المرسلين الفرنسيين قد امتازوا في كل الاجيال بمدافعتهم عن عقيدة الحبَل بمريم البريَّ من كلّ دنس فلم يزالوا يسعون في تأييد هذا المعتقد ونشرهِ بين الشرقيين بمواعظهم وما ابرزتهُ مطبعتهم القدسية من الكتب التقويَّة في محامد البتول الطاهرة

وقد قاسم الفرنسيين في نشر العبادة المريمية بين الشرقيين فرع آخر من الشجرة الفرنسيَّة الفنَّاء ألا وهم الآباء الكبوشيُّون الذين ظهروا في الشرق في اواسط القرن السابع عشر فاحرزوا لهم شكر البلاد باعمالهم الصالحة. وكان سعيهم في بسط العبادة المريميَّة كسعي كل ابناء القديس فرنسيس. ومن اشبه اباهُ ما ظلم

٣ً الرهبانية الدومنيكيَّة

انَّ ابناء القديس دومنيك ينتمون الى السيِّدة العذراء منذ اوَّل نشأتهم فورثوا عن منشئهم الشهير عبادتهُ الممتازة لمريم التي مكَّنتهُ من تذليل كلّ العقبات التي وجدها في سبيل مشروعاتهِ الخيريَّة. وقد ورثوا خصوصاً من ابيهم عبادة الورديَّة التي انتشت في كل الاقطار روح التقوى والنشاط في خدمتهِ تعالى. ولو اردنا ان نعدّد كل ما اصطنعهُ المرسلون الدومنيكيُّون لمجد

العذراء لطال بنا القول. وفي تواريخ رهبانيّتهم تفاصيل واسعة تذكر اعمالهم في هذا الشأن منذ القرن الرابع عشر لاسيّما في رسالاتهم في ارمينية والكرج والعجم وما بين النهرين. وقد انشأوا في مدن عديدة اخويّات الورديّة فعمّت هذه العبادة كل الاصقاع الشرقية حتى انّها صارت كثوب العذراء من مميّزات الطوائف الكاثوليكيّة. وقد ساعد على نشرها ما ألّفه هؤلاء المرسلون في الورديّة واسرارها ونشروه بالطبع في مطبعتهم الوصليّة (الشرق ٥ : ٤٢٣) جازتهم العذراء القديرة خيرًا وافاضت عليهم سجال نعمها

٤ الرهبانية اليسوعية

قد شهدت البراءات البابويّة انّ ابناء القديس اغناطيوس اينما رحلوا وحيثما احتلّوا سعوا بنشاط لم يعرف الملل في ترقية العبادة المريميّة. وما يصحّ اجمالًا في الرهبانيّة اليسوعيّة قد ثبت خصوصًا في رسالاتها الخارجة لاسيما في بلاد الشرق. فلمّا قدم اليسوعيّون الاوّلون الى هذه الاصقاع في العشر الثالث من القرن السابع عشر وتزلوا في حواضر سوريّة والاناضول ومصر والعجم كان اوّل ما اتخذوه من الوسائط لتعزيز الايمان بين اهل الشرق نشر عبادة العذراء مريم التي عرفوا تملّق الشرقيين باهدابها. وكان اخوتهم في اوربّة انشأوا قبل خمسين عامًا الاخويّات المريميّة فنالوا بها من الآثار الروحية ما لم يخطر على بال. فأسرعوا مذ استقرّت قدمهم في الاستانة العليّة وسواحل الاناضول والعجم والشام ومصر الى انشاء مثل هذه الاخويّات فجمعوا المسيحيين تحت راية مريم ولذّوهم لاكوامها كل الاعمال التقويّة من اعانة الفقراء وعيادة المرضى وخدمة المطعونين وزيارة المحبوسين وتعليم الاحداث حتى صار اعضاؤها قدوةً لكل الناظرين على اختلاف مللهم. وسبق الحلبيّون لِمَا عُرفوا به من التُّقى ودماثة الاخلاق الى الانضواء في هذه الجمعيّات التقويّة وكثر عددهم حتى اضطرّ المرسلون الى ان يجعلوا لكلّ طائفة اخويّة بل

اخويّات كاخويّة الشبّان واخويّة الاحداث واخويّة التجّار. وقد وجدت بعض سجلّات هذه الاخويّات وفيها تفاصيل اعمال اصحابها المبرورة تنبئ بغيرتهم الملتهبة في خدمة النفوس. ولشعراء العصر قصائد في مدحهم واطراء شركاتهم

وكذلك اشتهرت اخويّة صيداء المنشأة في هذه المدينة لتهذيب التجار المتواردين اليها في ذلك العهد. وقد وصف الاب بُسّون في تاريخه « سوريّة المقدّسة » ما نجم عن هذه الاخويّة من الخير العميم. وناهيك ان منها خرج رجال افاضل كفرنسيس بيكه الذي صار قنصلًا على حلب ثم قاصدًا رسوليًّا. وفرنسيس لَبرت اليسوعيّ الذي فتح دير عينطورة. وكان لليسوعيين اخويّات مثل هذه في دمشق وطرابلس وازمير ولكل واحدة تاريخ مطول

وممّا عُني به اليسوعيون الأقدمون نشر العبادة لبرارة العذراء مريم وخلوّها من خطيئة الجدّين الاوّلين. سعوا بذلك جهدهم في مواعظهم وكتاباتهم وكان الاب يوسف بُسّون جمع من كتب الشرقيين الطقسيّة نيفًا ومئتي شهادة تدلّ على صحّة هذا المعتقد في كنائس الشرق جمعاء. ولمّا اصدر البابا اسكندر السابع براءتهُ بخصوص برّ البتول في حبلها طار قلبهُ فرحًا ودعا رؤساء الطوائف الشرقيّة في حلب مع عدّة شهود بحضور القنصل الفرنسوي فرنسوا بارون فعرض عليهم براءة البابا وفسّر لهم مضمونها مع بيان موافقته لنصوص الآباء الشرقيين وللصلوات الطقسيّة ثم طلب اليهم ان يجاهروا بمعتقدهم ويعلنوا به خطًّا ثم يُوقّعوا عليه بامضائهم. فاجاب البطاركة الثلاثة مكاريوس الرومي واغناطيوس اندراوس السرياني وكاتشدور الارمني ثم لسطفان الدويهي النائب الاسقفيّ الماروني واقرّوا بان كنائسهم تتّفق كلها في ايمانها عن براءة العذراء من الخطيئة. وصادق ايضًا رؤساء الرسالتين الفرنسيسيّة والكرمليّة على هذا الامر. وأُرسلت شهاداتهم كلها الى رومية وكان الاب بُسّون يؤمّل أنها تكون من اقوى العوامل لاثبات عقيدة الحبل

بلا دنس. وقد وجدت هذه البطاقة آخرًا فنشرت في مجلة التمدن الكاثوليكي سنة ١٨٧٦ كما سبق في المقالة الاولى من هذا العدد

ثم ثارت بالرهبانيَّة اليسوعية صروف الدهر كادت تكون قاضية عليهم فخلا الشرق منهم ستين سنة ثم عادوا في العشر الرابع من القرن السابق الى رسالتهم في سوريَّة بعد ان كتب بطاركة الشرق الموارنة والسريان والارمن عرضًا يلتمسون رجوعهم سنة ١٨٣١ بصحبة السيِّد الجليل والذائع الشهرة مكسيموس مظلوم. فرحَّب بهم اعيان البلاد والاهلون وأقطعوهم املاكًا في الجبل بنوا فيها ادیارًا ولم يزل نطاق اعمالهم يتَّسع حتى بلغ ما نعرفهُ منها اليوم

وجرى آباء الرسالة الجديدة على آثار أسلافهم في نشر العبادة المريمية. فمن ذلك أنهم سبقوا الكل الى نشر عبادة الشهر المريمي فامتدَّت الى كل انحاء المشرق بعد ان باشر بها لاوَّل مرَّة سنة ١٨٣٦ في بكفيا الاب سليمان استاف (راجع المشرق ٥ : ٢٨٩)

ثم تذكَّروا ما نالهُ اختهم الأقدمون من ثمار الخلاص بانشاء الاخويَّات التقويَّة فبادروا الى عقدها في كنائسهم وحضوا غيرهم على استعمالها حتى لا تكاد تخلو منها اليوم بلدة او طائفة. واحدى هذه الاخويَّات هي التي أُنشئت في بيروت سنة ١٨٤٩ لوجوه المدينة. وكانت اوَّل اخويَّة على اسم سيدة الجبل بلا دنس وذلك قبل اثبات العقيدة بخمس سنوات. (راجع الخلاصة الذكية المطبوعة سنة ١٨٩٩ في يوبيل هذه الاخويَّة)

ولا نُعدِّد هنا وسائل أُخرى توسَّلت بها الرهبانية اليسوعية لنشر العبادة لمريم منها المعابد المشيدة على اسمها والزيارات السنويَّة لمعابدها واكرام بعض صورها العجائبيَّة كصورة سيدة النجاة في بكفيا وصورة سيدة التنزه في تنايل ومنها ايضًا مطبوعاتهم في مناقبها ومدافعتهم عن عقيدة حبلها البريء من

دنس الخطيئة . الى غير ذلك مما يعدّه الرهبان اليسوعيون كفرض واجب عليهم مقابلة لما ينالونه من مراحم هذه الامّ الحنونة من النعم والبركات

ه الجمعية اللازرية

ارسل الكرسي الرسولي آباء الجمعية اللازرية الى بلادنا بعد تفرّق شمل اليسوعيين في اواخر القرن الثامن عشر ليخلفوهم في اعمال رسالتهم . فقاموا باعباء هذه المهنة قياماً يشهد لهُ كلُّ من رأى نشاطهم في فلاحة كرم الربّ . ولمّا كانت احدى غايات منشئهم الجليل القديس العظيم منصور دي پول ان يبثّوا في القلوب الحبّ لمريم ويذيعوا خصوصاً عن عقيدة براءتها من كل دنس في حبلها اخذوا على نفوسهم الّا يدعوا فرصةً دون ان يحرّضوا المؤمنين على تحقيقها ونشرها . وقد جازتهم هذه البتول الطاهرة لمّا شاءت سنة ١٨٣٠ ان تُعطي الكنيسة عربوناً جديداً عن شفقتها الوالديّة فاختارت احدى راهبات المحبة لتحف بواسطتها العالم المسيحي بايقونتها العجائبيّة كما ورد في المشرق (٤ : ١٠٣٨) فضاعف ابناء القديس منصور وبناتهُ مساعيهم في تعزيز اسم مريم وبثّ العبادة لحبلها الطاهر فاجرى الله على ايديهم معجزات لا تُحصى بواسطة تلك الايقونة المقدسة لاسيما بين تلامذة مدارسهم وبنات اخويّاتهم ويتامى ميتّمهم ومرضى مستشفياتهم اجزل الله عليهم اسبغ نعمهِ واغزر هباتهِ

هذا ونقرّ في ختام نبذتنا الوجيزة اننا لم نستوفِ جمعيّات المرسلين حقها ولم نصف من اعمالها في سبيل العذراء الّا القدر القليل كما اننا لم نتحرَّ لذكر الجمعيّات الرهبانية التي نشأت حديثاً في بلادنا كالرهبان البيض واخوة المدارس المسيحية والاخوة المرعين وراهبات القديس يوسف وراهبات الناصرة مع ما لجميعهم في ذلك من الايادي المشكورة والافضال المذكورة حال دون رغبتنا ضيق المقام واتّساع الموضوع مستميحين من الجميع عذراً وملتمسين من العذراء ثواباً لكل من يسعى في خدمتها

كلُّكِ جميلة وليس فيكِ عيب

(سفر النشيد ٤ : ٧)

بقلم حضرة الخوري حنّا طنّوس احد مدرّسي العربية في كلية القديس يوسف

نظمها خمسين بيتًا مضمّنًا اوّل كلّ بيت حرفًا من احرف السلام اللاتيني

السلام لكِ يا مريم يا ممتلئة نعمة الرب معكِ
وباركة انتِ في النساء (لوقا ١ : ٢٨)

اهدوا السلامَ وحيّوا ربّة النِعَمِ صَفْوَ الخلائق امَّ اللهِ والأممِ
لاحتْ بعالمنا بالنور طالعةً كنجمة الصُبح لاحت في دُجى الظلمِ
سُمُّ الخطيةِ لم يمسَسْ طهارتها فهي البريئة من اوزار إثمهمِ
لم يلحظِ اللهُ فيها شبهَ شائبةٍ او ظِلَّ بائقةٍ او ريبةَ التُهمِ
الآبُ كمّلها والابن جمّلها والروح كلّلها في اعظم العِظَمِ
من قبل ما ولدت كانت مقدسةً من فور تصويرها في حيّز النَسَمِ
لمّا تبدّت بنور الطهر ساطعةً نادى الملائك مَن هذه بجنْهمِ
كالصبح مشرقةٌ كالبدر مشرقةٌ كالشمس مختارةٌ تخفي ضيا النجُمِ

*

يا إبنة اللهِ انَّ الآبَ كملكِ عزّي وتيهي دلالًا يا ابنة الملكِ
ابهى الجمالِ كمالُ الحسنِ جملكِ يا نجمة الصُبح زيني قبّة الفلكِ
من لا يرى حسنكِ الفتانَ فهو عمي

*

من ينكر اليومَ أنَّ الله البسها دُون الخلائق حُلي الطهر والعِصَمِ

راس الخطيئة يعني راس حيَّتهم معنى النبوَّةِ مفهومٌ من القِدَمِ
يا ويل راسكَ يا ابليس فارتعدن واهبط الى لُجَّة النيران وانهزمِ
من تسحق الرأسَ في العلياء قد ظهرت محفوفةً بجلالِ النور والنِّعَمِ

*

يا حسن طلعتها في مشهد العجبِ تعنو لعزَّتها الافلاك في رهبِ
اشراق صورتها ابهى من الشهبِ حيَّت طهارتها الاملاكُ في طربِ
غنَّت ببهجتها في أطيَبِ النَّغَمِ

*

ملاك نورٍ على الفردوس يحرسهُ من اللصوص بسيف النار والنقمِ
من مريم جنَّةِ الفردوس كان لنا مبدا الحياة ومنها صيِّبُ الديمِ
تمَّ بها الرمزُ فالرحمان حصَّنها ضدَّ الابالس من آفاتِ مكرهمِ
لولا السفينة باد الناس اجمعهم من ماء طوفانهم في وهدة العدمِ
يمُّ الخطيئة بالطوفان غرَّقنا من دون مريمَ في تفسيرِ رمزهمِ
تحت المياه جموعُ الخلق قد غرقت الَّا السفينة فوق الماء والقُمَمِ
نوح يمثِّل ربَّ الخلق قاطبةً اذ خلَّص الناس من طوفان شرهمِ
عليَّقةٌ في لهيب النار مُشعلةٌ لم تحترق في سعير من لظى الغرمِ
معنى اللهيبِ شرارُ الشرِّ في بشرٍ فريمٌ قد نجت من حرِّ نارهمِ
تابوتُ عهدهم المطليُّ في ذهبٍ منَّا السلام على تابوت عهدهمِ
انظر أريحا التي اسوارها انهدمت عند الطواف به أيام حربهمِ
لمَّا تبدَّى على الاكتاف مرتفعًا فوق المياه معلِّي يوم عبرهمِ
رنَّت سناهُ مياهُ النهر فانفلقت قسمين شرقًا وغربًا ايَّ منقسمِ
بذاك نعني مياه الاثم اذ نظرت تابوتنا انهزمت في كل منهزمِ
ما بال استير تخشى حكمَ سُنَّتنا ليست عليكِ ايا استير فابتسمي

عزّي وتيهي بنصرٍ قد غدا عجباً يا رأس هامان قد ذُلّلتَ للقدمِ

*

كلُّ الجمال بها لا عيب دنسها فالروح يشهد بالامثال والحكمِ
ورد المحبّة بين الشوكِ سوسَنَةٌ وزنبقُ الطهر عَرفٌ طيّب النَّسمِ

*

محبوبتي جنّةٌ في وردها ازدهرتْ بالافضل مُقفلةٌ بالزهر قد عطرتْ
بالختم مختومةٌ في طهرها اشتهرتْ مُرٌّ وفاغيةٌ للطيب قد نشرتْ
اثمارها عذبةٌ تشفي من الغُمَمِ
راحٌ بريحانِ فردوسُ رُمّانِ في طيب ادهانِ مع لين اغصانِ
كالنخل والبانِ انهار لبنانِ تجري لعطشانِ في كل ازمانِ
تأتي لولهانِ من ارفع القُمَمِ

*

ابهى المشاهد في الدنيا واعجبها جبريل يُهدي الثنا في اطيب الكَلِمِ
زى الملائك من اعلى السما انحدرت تعنو وتخضع للعذراء كالخدمِ
تاهت عقول الورى مما ترى عجباً لا تعجبوا اذ تسامت امُّ ربّهمِ
فوق الملائك والافلاك مركزها قرب الاله حذاء العرش فافتهمِ
يا ارزَ لبنان بل يا مجد قمّتهِ يا عزَّ أُمتهِ يا غوث معتصمِ
أنتِ التي خصّكِ المولى بنعمتهِ بين الانامِ بفيض الجود والكرمِ
لكِ السلام سلام الله يا املي لك الهناء بما قد نلت من نعمِ
نلتِ المقامَ الذي لا عقل يدركهُ اذ انتِ اطهر خلق الله كلّهمِ
سُدْ يأسَ الحبر اذ اثبتَّ عصمتها اثبتَّ أنّك معصوم لدى الحَكَمِ
« انتِ البريّة من عيبٍ ومن دنسٍ » « انتَ البريُّ من الاغلاط فاحتكمِ »

مطبوعات شرقية جديدة

Témoignages de l'Eglise Syro-Maronite en faveur de l'Immaculée Conception, recueillis par les PP. J. et P. Hobeika. *Liban*, 1904 pp 64+98

شهادات فروض الكنيسة المارونية السريانية في براءة العذراء من الخطيئة الاصلية

توّهنا في فصل سابق بذكر هذا الكتاب الذي الحقهُ الابوان الفاضلان يوسف وبطرس حبيقه بتأليفهما المعنون « بالالقاب المريميَّة في فروض الكنيسة المارونية » (راجع الصفحة ٩٣) فجاء متمّماً لفوائده. ومن راجع هذه الشهادات الصادعة ببراءة البتول منذ حُبل بها في البطن لا يسعهُ الّا الشكر لله عمّا الهمهُ آباء الكنيسة الشرقية بخصوص هذا المعتقد كما انّهُ يشكر حضرة الابوين على نظمهما هذه الدُّرر في سلك يزيدها حسناً

La Vierge Marie dans l'histoire de l'Orient chrétien

Par l'abbé J. Lémann, *Paris, Lecoffre*, 1904, p. 640

مريم العذراء في تاريخ الشرق المسيحي

اخذ الكتبة الكاثوليكيون بنسبة هذه السنة اليوبيليَّة يوجّهون الى ام المدن التآليف المختلفة في مريم والدة الله. وممّا بلغنا منها حديثاً هذا الكتاب النفيس الذي كتبهُ احد مشاهير الكهنة القانونيين في ليون وهو الخوري يوسف لبيان الحلبي الفرنسوي المصقع قد جمع فيهِ ما يختصُّ بالعذراء وعلاقاتها مع بلادنا الشرقية وقسّم ذلك الى ثلاثة اقسام وفقاً لثلاثة اطوار تاريخ الكنيسة في قرون النصرانية الاولى ثم قرونها المتوسطة ثم الاخيرة. وقد شرح ذلك لا على طريقة تاريخية بل على نمط خطابي بانشاء بديع وعبارات جزلة فخيمة تنبئ بعواطف صاحبها البنويَّة نحو ملكة السماء وبحبهِ المضطرم للشرق المسيحي الذي يرجو ترقيهُ في معارج الفلاح بشفاعة البتول

الطاهرة التي قدستهُ بحياتها وموتها. فنشكر لحضرة الكاتب همّتهُ في نشر هذا الكتاب ونحضّ ابناء الشرق ان يسرّحوا في مروج النضرة ابصارهم ل.ش

شذرات

مكتبة مريم نجمع في هذه اللمعة كلّ ما بلغ الينا علمهُ من المطبوعات والمخطوطات التي كُتبت في مريم العذراء بالعربيّة دون الفصول الموجزة

* المطبوعات * (رومية العظمى) ١ المتعبد لمريم ترجمة المنوري ديونيسيوس حجار (١٧٦٥ ص ٤١٤) = ٢ كتاب ايجاد مريم للقديس الفنس ليكوري تعريب السيد مكيموس مظلوم (١٨٢٧ ص ٦١٧) = ٣ كتاب الزيارة اليومية لسرّ الافخارستيا ولايقونة والدة الاله تأليف القديس الفنس ليكوري وتعريب السيد مكيموس مظلوم (١٨٢٩ ص ٢٤٨) = ٤ كتاب الشهر المريمي للاب موزرلي اليسوعي تعريب القس لياوس المتيني (١٨٣٨ و١٨٤٨ ص ٢٤٨)

(قزحيا) ٥ زيارة الافخارستيا وايقونة والدة الاله المطبوع في رومية (١٨٣٩)

(حلب) ٦ كتاب زيارة القربان المقدس والطوباويّة مريم البتول للخوري ارنول عرّبهُ الاناغوسطوس جرجس صعب السرياني (١٨٦٣ ص ٢٨٢)

(القدس) مطبعة الآباء الفرنسيسيين: ٧ الشهر المريمي للاب موزرلي (١٨٥٣ ثم ١٨٧٦ ص ٢٢٦) = ٨ ايجاد مريم المطبوع في رومية (١٨٦٧ جزءان ص ٤٠٨ و٦٠٢ ثم بقطع اكبر ص ٢٢٨ و٢٣٠) = ٩ كتاب تسموّيات معيّنة للاعياد الاحتفاليّة للسيدة والدة الاله الكلي قدسها معرّب عن الايطالية والاسبانيّة (١٨٦٢ ص ٢٨٥)

مطبعة القبر المقدّس: ١٠ ترتيب الاربع وعشرين بيت (كذا) لوالدة الاله وطقس الميطانيي (١٨٥٧ ص ٦٤) = ١١ الزهرة النضراء في رياض العذراء (١٨٨٧ ص ٨٨)

(بيروت) مطبعتا الكاثوليكية: ١٢ كتاب الشهر المريمي ملخص عن موزرلي طبع حجر (١٨٥٣ ص ١١٩) ثم تجديد طبعة رومية بحروف (١٨٥٤ الخ ص ٢٥٣) = ١٣ كتاب فرض اخويّة الحبل بلا دنس (١٨٥٤ الخ ص ٢٧٦) = ١٤ خدمة سيّدتنا مريم العذراء تُتلى في اخويّاتها عن انفس الموتى (١٨٦١ ص ٢٤ الخ) = ١٥ الزيارة اليوميّة للقربان ولايقونة والدة الاله المطبوع في رومية (١٨٦٤ الخ ص ٢٢٤) = ١٦ اصل ثوب سيدة الكرمل (١٨٧٣ ص ٢٦) = ١٧ رتبة شهر أيار المخصّص لاكرام مريم البتول (١٨٧٧ ص ٢١) = ١٨ كتاب طريق البرارة لخادم البشارة

وهي قوانين انشأها البطريرك مكسيموس مظلوم (١٨٨٦ ص ٢٣٠) = ١٩ كتاب الكتريين الانقسين في العبادة لقلبي يسوع ومريم الاقدسين للابوين بركو ومنفردي اليسوعيين (١٨٨٧ ص ٢٢٤) = ٢٠ مريم العذراء وثوب قلب يسوع الاقدس (١٨٨٨ ص ٢٢) = ٢١ تحفة المغارب في سيدة لورد امّ المحاسب للعلّامة دانيال باربه تعريب القس افرام الديراني (١٨٩٤ ص ١٤٣) = ٢٢ ردّ على منشور بطريرك الروم القسطنطيني في ما يتعلّق بعقيدة الحبل بلا دنس للاب اطون صالحاني (١٨٩٧ ص ٢٠) = ٢٣ معبد سيدة القامة في بلاد عكّار لمحة تاريخيّة للاب يوسف غودار اليسوعي عرّبها نجيب افندي باخوس (١٩٠٠ ص ١٩) = ٢٤ سيدة النجاة تاريخها ومعجزاتها للاب ل. شيخو اليسوعي (١٩٠١ ص ١٥) = ٢٥ طريقة جيّدة التأمل في اسرار الورديّة المقدسة (١٩٠١ ص ٤٧) = ٢٦ الكوكب الشارق في مريم سلطانة المشارق للاب ايداي لوريول اليسوعي عرّبهُ الشيخ يوسف ابو سليمان (١٩٠٢ ص ٢٩٦)

المطبعة السمعية: ٢٧ قوانين اخويّة العذراء البريئة من الدنس (١٨٦٥ ص ٢١٤) = ٢٨ تحفة القرّاء في اثبات دوام بتولية العذراء للمطران بولس مسعد مطران طرسوس (١٨٦٩ ص ٦٢) = ٢٩ اجتناء الاثمار في تكريس شهر ايّار للاب اسطفانوس برسالي عرّبهُ القس يوسف الشبابي (١٨٧٦ ص ٢٤٩) = ٣٠ شهر ايّار المخصص باكرام مريم البتول تأليف الخوري بولس مناسا النوسطاوي الماروني (١٨٩٠ ص ٤٢٢)

المطبعة الادبية: ٣١ المغرم بمحبة مريم تعريب القس افرام الديراني ١٨٩٨ ص ٥١٩

مطبعة الآداب: ٣٢ المغنم في تكريم سيدتنا مريم للخوري ميخائيل دلال (ص ١٢)

مطبعة الفوائد: ٣٣ لورد ونشأتها بقلم السيد جرمانوس معتد مطران اللاذقية (١٨٩٦ ص ٩٥) = ٣٤ خدمة زيارة العذراء للسيد مكسيموس مظلوم = ٣٥ البلاغة الشرقية في مديح مريم الدائمة البتولية (ص ١٢)

(لبنان) مطبعة اهدن: ٣٦ كتاب قوانين اخويّة الحبل بلا دنس (١٨٦٥ ص ١٦٠) — (مطبعة الارز): ٣٧ كتاب الشهر المريمي نقلهُ من الافرنسية الخوري بولس متّى (١٨٩٧ ص ١٩٢) — ٣٨ عبادة الخمسة عشر سبت الوردية (١٩٠٢ ص ٥٦٢) — (المطبعة العثمانية): ٣٩ صورة صيدنايا وعجائبها لسعدى هلال — (المطبعة اللبنانية في بعبدا): ٤٠ كتاب الالقاب المريمية في قروض الكنيسة المارونية بالعربية والفرنسية للابوين يوسف وبطرس حيقة (١٩٠٣ ص ٦٨ + ٢٩) = ٤١ شهادات قروض الكنيسة المارونية السريانية في براءة مريم العذراء من الخطيئة الاصلية (١٩٠٤ ص ٦٨ + ٦٤)

(الموصل) مطبعة الآباء الدومنيكيين: ٤٢ كتاب قروض سيدتنا مريم العذراء الصغير بحسب الطقس الدومنيكي (١٨٦٤ الخ ص ١٦٨) = ٤٣ وبحسب الطقس

الرماني (١٨٦٤ ص ١٦٥) = ٤٤ كتاب زيارة القربان المقدس وزيارة مريم العذراء تعريب القس يوسف داود (١٨٦٩ الخ ص ٢٣٠) = ٤٥ كتاب المنبذ لمريم للاب سنجري اليسوعي (١٨٧٠ و ١٨٩٦ ص ٢٠١) = ٤٦ كتاب التحفة في الورود يمثل ظهور السيدة في لورد عربه القس جرجس الشرباني (١٨٩٣ ص ٢٦٠) = ٤٧ مصحف الوردية المقدسة (١٨٦٧ ص ٢٥٢) = ٤٨ شرح مختصر في اخوية الوردية (١٨٨٣ ص ٤٨) = ٤٩ عبادة الوردية المؤبدة (١٨٨٠ ص ٦٤) = ٥٠ طريقة سهلة للتأمل في اسرار الوردية (١٨٨٠ ص ٦٤) = ٥١ دستور الوردية المقدسة (١٩٠٠ ص ٦٨) = ٥٢ ثوب سيدتنا ذات الكرمل (١٨٨١ ص ٢٠) = ٥٣ ثلاثة ينابيع نعم للانفس المسيحية (١٨٨٠ ص ٩٦) = ٥٤ كتاب الشهر المريمي تأليف الاب متروني اليسوعي (١٨٧٦ ص ٢٨٤) = ٥٥ كتاب الشهر المريمي يتضمن تاملات في سيرة سيدتنا مريم العذراء تعريب غبطة السيد اغناطيوس افرام الثاني الرحماني (١٨٩٢ ص ٢٥٦) = ٥٦ خمسة مزامير القديس بوناونتورا اكراماً لمريم العذراء (١٨٩٣ ص ١٢) (الاسكندرية) مطبعة الاتقان: ٥٧ اكرام سيدتنا مريم العذراء للخوري بولس عويس (١٩٠١ ص ٤٦) = ٥٨ الشهر المريمي لهُ (١٩٠٢ ص ٢٤٦)

(المانيا) ٥٧ اخبار يوحنا السليح في نقلة ام المسيح عن مخطوط قديم طبعهُ بالعربية واللاتينية انكر في البرفلد (١٨٥٤ ص ١٩ + ١٠٧)

* ٢ المخطوطات * ١ مخطوط يحفظ في دير الشير اسمهُ تاريخ الجامع الفهُ البطريرك مكاريوس في القرن السابع عشر جمع فيهِ الرموز عن العذراء مريم (افادنا هذا حضرة الاب ق. باشا) = ٢ كتاب عجائب العذراء يحتوي خبر ٦٨ معجزة اصطفتها البتول في نحو ٢٠٠ صفحة في مكتبتنا الشرقية. ومنهُ نسخ عديدة في مكاتب الاديرة ومكاتب الخاصة منها نسخة في بيت الفقيد بشاره الخوري = ٣ مجموع آخر يحتوي في قسمهِ الاوّل (ص ١-١٤٨) اخبار عجائب العذراء وهو مختلف عن السابق (في مكتبتنا) = ٤ كتاب شرف مريم العذراء للاب اغناطيوس كايسون اليسوعي كتبهُ في حلب سنة ١٦٧٠ ونقل فيه كثيراً من تأليف الاب بهوازه اليسوعي المعروف بالاكليل المثلث في مكتبتنا منهُ نسخة غير كاملة. وكذلك وجدناهُ في يد احد الرهبان الموارنة الحليين = ٥ سيرة السيدة العذراء للراهبة الشهيرة مريم دي اغريدا منقولة الى العربية. في مكتبتنا نسختان من الجزء الاوّل كُتبت الواحدة سنة (١٧٣٠ ص ٢٥٠) = ٦ خبر ايقونة صيدنايا في ١٦ صفحة في احد مجاميع مكتبتنا. وجدناهُ في حمص = ٧ كتاب يسوع الحبيب ومريم الحبيب وهما سفران جليلان للاب نيرمبرج اليسوعي عرّبهما الاب بطرس فروماج تاريخ نسختنا سنة ١٧٣٨ = ٨ المنبذ للعذراء

تأليف احد الآباء اليسوعيين كُتب في القرن الثامن عشر يصف في ٤ اقسام عظمة العذراء مع بيان مفاعيل رحمتها وقدرتها والوسائط المختلفة لاكرامها (ص ١١٠) = ٩ كتاب منارة الباشين في عبادة ملجأ المؤمنين. وهو كتاب واسع في عظم مقام العذراء وفضائلها واكرامها واعيادها جمعهُ الاخ الياس كنعان اليسوعي (١٨٦٩ ص ٦٨٣) = ١٠ شرح طلبة العذراء تعريب رئيس الاراضي المقدسة لدومنيك دي لوبُلياتر عند جناب ف. مشحور = ١١ كتاب الثيوتكيات. اي تسابيح العذراء بالعربية والقبطية (المشرق ٥ : ٥٤٤)

تسبحة العذراء لجناب الاديب محبوب افندي الشرتوني

تعظّم مُبدعَ الاكوان نفسي ... وتشكر جودهُ العالي الثمينا
كريمٌ قال حين رأى تضاعي ... ألا فلتُكرمِ العبدَ الامينا
لذلك فلتطوّبني البرايا ... مدى الدنيا ودهر الداهرينا
علوتُ بنعمة الباري تعالى ... ألم يجدر بمدح المادحينا
هو القدوس ربّ الخلق ابدى ... عظائمَ بي تفوق العالمينا
إلهٌ يملأ الفقراء خيرًا ... ويُفرغُ ان اراد الموسرينا
ومهما مرّت الاجيالُ تلحقْ ... مراحمهُ العبيد الصالحينا
يقرّبُ من حماهُ خائفيهِ ... ولكن يطردُ المتكبرينا
يحطّ القادرين عن الكراسي ... ويعلي معشر المتواضعينا
برحمتهِ لاسرائيل قومي ... وفى لخليلهِ وعدًا مُبينا

أسئلة وأجوبة

س سألنا من حامات جناب نصر الخوري كيف يطلق الكاثوليك لفظة التعبُّد على خدمة مريم العذراء ولا يعبد غير الله ؟

ج اعلم انَّ للفظة التعبُّد معنيين اولًا الاكرام اجمالًا وهذا ممَّا يجوز اطلاقهُ على كل اولياء الله وخصوصاً على خدمة والدة الله. بل ربَّما أُطلق على الخضوع للملوك. ثانيًا اداء واجبات المخلوق لخالقهِ. وهذا المعنى محصور فيهِ تعالى ل. ش

صنمها فذكرته باسم « نَرْجل » ونحن نختار هذه الرواية في كلتا الحالتين على الروايتين السابقتين وذلك لان « كوث » بالتثليث اقرب الى اسمها العربي القديم « كوثى » وهي « كُوثى ربي » او « كوثا رَبا » بالالف وهذه اقل فصاحة من تلك. واما « كوت » بالمثناة فهي اقرب الى اسمها العبري. و « نَرْجل » اسم صنمها اقرب الى الاصل الاشوري لأن نَرْ = نَرْ اي رُجل بالاشوريَّة وهو قريب من نر العربية. وجَلْ = جَلْ = جليل اي عظيم في الاشوريَّة والعربية ايضاً. فيكون محصَّل تركيبها « الرُجل العظيم » او « البطل الصنديد »

ولما كانت الاشوريَّة والارميَّة والصابئية تقرب من العربية وكان اغلب اصول تلك اللغات مجهولة او منقرضة او مماتة ويصعب علينا التبحُّر فيها فما علينا الَّا ان نستفتي عربيَّتنا في تفسير معنى « كوث » او « كوثى » فقد قال ياقوت في معجم البلدان: « كوثى بالضم ثم السكون والثاء مثلثة والف مقصورة تُكتب بالياء لانها رابعة الاسم (١ قال النضر: كَوَّثَ الزَرْعُ تكويثًا اذا صار اربع ورقات وخمسَ ورقاتٍ وهو الكوث ». وهذا التفسير يؤيد التحديد الذي عرَّفنا به الكُوثَ فقيل ما يتحصَّل منهُ اجتماعُ الماء والبيتُ الاب والبيوت الفرعية. اذ لا بُدَّ للزرع من الماء لكي ينبت ثم لا بُدَّ من الورق من ان يُحيط بالجرثومة النامية لتقيها من التقلُّبات الخارجية والجويَّة فضلًا عن ان هذه الاوراق هي بمنزلة تلك البيوت الراجعة الى الاصل. واذا كان في هذا التاويل تعسُّفٌ او تكلُّف فمعنى التجمُّع حول الاصل ظاهر لكلِّ عاقلٍ من مادة « ك و ث » او « ك ث ث » او ك ث و » وكذلك في مُبدَلها: « ك و ف » و ك ف ف » و « ك ف و » (٢

---

١) قلتُ: ويجوز كتابتها بالالف الطويلة لانَّها نبطية الاصل كما ألمعنا اليهِ والنبط يكتبونها ويلفظونها بالالف الطويلة المشار اليها. وقد صرَّح بكتابتها على هذا الوجه الترماني في تاريخ الأوَّل ص ٤٧٤) اذ قال: « كوثا قرية بسواد العراق القديمة يُنسب اليها ابراهيم الخليل عم وجا كان مولدهُ »

٢) كان في العراق قديمًا مدينتان تُعرفان بكُوثى. قال ياقوت في كتابهِ المذكور (٤: ٢١٧): « وكوثى في ثلاثة مواضع بسواد العراق في ارض بابل وبمكَّة وهو منزل بني عبد الدار خاصَّة ثم غلب على الجميع. ولذلك قال الشاعر:

لَعَمْرُ الله منزلًا بطن كوثى ورماهُ بالقفر والاعسارِ
لستُ كوثى العراق عني ولكن كُوثَةُ الدارِ دار عبد الدارِ . . .

وكانت كوثى ربّى عامرة في صدر الإسلام بدليل قول ياقوت: « وسار سعد من القادسية في سنة عشر [هجرية = ٦٣١ م] فنتج كوثى. » اه

واما اليوم فهي خراب وتعرف باسم « تلّ ابرهيم ». قال رولنصن في كتابه عن ممالك الشرق القديمة (١ اما سائر مدن كلدية القديمة التي يمكن تعيين مواطنها بما يقرب من اليقين فهي كوثى Cutha) وهي المسماة اليوم « تلّ ابرهيم » (هذا هو الصحيح لا ابرهيم كما قال المؤلف) وهي على بعد ١٥ ميلاً في الشمال الشرقي من شرق الحمّار (بفتح الحاء وتشديد الميم المفتوحة لا حمار وزان كتاب كما ذكرها المؤلف) . . . اه. وقال (في ١ : ١٣٦) : « ان المدينة الموصدة بنوع خاص لنرجل كانت كوثى وهي تجّبَهُ ايضاً (Tiggaba) وهي التي تسميها دائماً التدرجات الأرّبَهُ « مدينتهُ » وكان نرجلُ يعبدُ ايضاً في تَرْباسيا او دَرْباشيا (Tarbisa) بقرب نينوى الّا انهُ كان يُقال انهُ كان يسكن ويعيش في تجّبَهَ. ومعبدهُ فيها كان من اشهر المعابد. ومن ذلك « الكوثيّون او اهل كوثى » وهم الذين انتقلوا من كوثى الى بلاد السامرة على يد الاشوريين الذين اتخذوا طبيعياً عبادة نرجل الهيم ونقلوها الى بلادهم الجديدة (٤ سفر الملوك ١٧ : ٣٠) اه

واذا اردنا ان نُدقق النظر في اصل كلمة كوثى قبل ظهورها بهذه الحلّة او الصبغة اللغويّة لا نراها الّا تصحيف كوشا او كوشي (تبعاً للأئمة الارمية) او كوش (تبعاً للغة العبريّة او العربية) اي بابدال الشين ثاء كما هو مشهور في اللغات السامية. وكوش هذا هو ابن حام وابو نمرود الجبّار فتكون « كوثى » من بناء كوش نفسه او من اوّل مساكنه ومواطن احتلاله وعليه فاللفظة واحدة الّا انهُ وقع فيها ما وقع في اللغات فزاد في اصولها وعدّدها. وفرّق لغاتها وشتّتها وبدّدها. وكأنّ ياقوت اراد هذا المعنى فحاد عنهُ بقولهِ الذي يروي فيهِ كلاماً لابي المنذر: « سُمّي نهر كوثا بالعراق بكوثى من بني ارفخشد بن سام بن نوح عم وهوَ الذي كراهُ (اي حفرهُ) فنُسب اليهِ وهو جدّ ابرهيم عم . . . »

وكوثى العراق كوثيان: كوثى الطريق والآخر كوثى رئى وبها مشهد ابرهيم الخليل عم وبها مولدهُ وهما من ارض بابل وبها طُرِح ابراهيم في النار وهما ناحيتان » . اه

١) راجع G. Rawlinson _ *The fire great monarchies of the Ancient Eastern World, vol. I. p. 21*

وقد نقلت « كوش » الى صورة ثالثة وهي « خبش » اي (الحبشة) ولعلك تتذهل من هذا القول لاوّل سماعك اياهُ الّا ان النواميس اللُّغويّة لا تستصعبهُ وتاريخ تفرّق الامم تسلّم بهِ والكتاب المقدّس يُؤيدهُ . ثم لا اظنك انك تجهل ان الكوشيين هم نفس الخبش والحبشة . ونقل الواو الى الباء امر راهن لا يختلف فيهِ اثنان حتى في نفس العربية وقد اشرنا اليهِ مرارًا جمّة في المشرق مع ذكر الشواهد والاسانيد . واما ابدال الكاف من الخاء فهو ايضًا غير بعيد . وذلك لان الكاف كثيرًا ما تُبدل من الخاء في اللغات السامية وهو امرٌ مقرّر مثبت لا يحتاج الى تأييد البتة . بل ان بعض الإرَميين لا يميّزون بين كتابة الكلم التي تلفظ بالخاء او بالكاف وانما يعرفونها او يتعلّمونها من تكرار سماعها . ثم انتقل هذا الابدال الى إبدال آخر اي الى ابدال الخاء المعجمة من الخاء المهملة ولنا على كل ذلك امثلة لا حاجة الى ايرادها خوفًا من الاطالة في الكلام

ولنا ما عدا هذه الامثلة التي نأخذها من سُنن اللغة ونواميسها بيّنات أُخرى نقتبسها من الاسفار المقدّسة على ما اشرنا اليهِ فوق هذا . فانهُ عزّ اسمهُ يُسمّي « الحُبش » بني « كوش » في عدة مواطن ويذكر انهم من ذرية كوش بن كنعان بن حام . والعلماء جميعهم لا يقولون الّا بهذا القول ايضًا . ولا حاجة الى ايراد النصوص في هذا الصدد لاشتهارها بين الصغير والكبير — ومما يدلّ على ان الحبش لا يمكن ان يكونوا الّا ابناء كوش الآيات الآتية : التكوين ١٠ : ٧ و٨ ثم ٢ : ١٣ وارميا ١٣ : ٢٣ واشعيا ١١ : ١ و١٨ : ١ و٤٣ : ٣ و٤٥ : ١٤ وحزقيال ٢٩ : ١٠ وغيرها من الآيات التي لا تحصى لكثرتها

ولا شكّ ايضًا في ان بني كوش ما خلا انهم سكنوا المدينة المعروفة بكوثى وفي ما جاورها . دخل قوم منهم بلاد العرب ولنا ادلة على ذلك ليس هنا محلّ ايرادها . ومنهم من اوغل في الضرب في الارض حتى جاء بلاد مصر والحبشة . ومنهم من صعد بالعكس في شمالي كوثى فاحتلّ البلاد التي عُرفت بعد ذلك باسم بلاد الكوثيين او الاسكوثيين او الاسكيثيين يعني la Scythie ولا جرم انهم قالوا اوّلًا Cuthæi نسبةً الى Cutha ثم قالوا Scytha او Scuthæ وذلك لان الثاء في الارمية تكون غالبًا شينًا بالعبرية . فقالوا اذن « كوت » في « كوش » ثم قلبها اليونان تبعًا لمزيّة لغتهم الى

صورة Cuthæi ويريدون بذلك الكوثيين او بلاد ياجوج وماجوج. ومما يدل على احتلال بني كوش بلاد الكوثيين او بلاد ياجوج وماجوج انهُ يوجد ثمَّ مدن وبلاد قديمة فيها رائحة كوثي او كوش منها : كيتا (Cyta) وكيتايا (Cytaia) وكوتاتي (Cotatis) وكيتيان (Cetemane) وكيتانوم (Cytanum) وكيتينا (Cethena) ومن ذلك الأقوام الآتي ذكرهم : الكيثيُّون او الكوَيثيُّون ou les Céthéens) (les Coëtæ والكوثيُّون (les Cythéens) والكويثيُّون (les Quitiens) وغير ذلك مما يطول ايرادهُ

واما ما قالهُ العرب في سبب تسمية الحبش بهذا الاسم وما اوردوهُ من النسب فكلهُ محض اختلاق اذ لا يوافق التاريخ ولا اللغة ولا نصوص الكتاب الالهي البينة ولا . . . ولا . . . ولا . . .

وبقي لنا في هذا الموضوع نفسهِ خاطر واحد وبهِ نختم كلامنا هذا وهو : ان نفس لفظة « الكوفة » ما هي الَّا تصحيف « كوثة » التي هي لغة في كوثى على ما اوردناهُ في صدر هذا التفسير. وابدال الثاء المثلثة من الفاء فاشٍ عندهم نذكر منها ثلاثة امثلة لمواقعها الثلاثة في صدر الكلمة وحشوها وطرفها فقد جاء عنهم : فناء الدار وثناؤهُ . والمغافير والمثاثير. والجدث والجدف (المزهر ١ : ٢٢٢) وفي قول ابن الكلبيّ ما يُشعر بصحَّة هذا الراي اذ يروي ما نصُّهُ بحرفهِ : سُمِّيت [الكوفة] بجبل صغير في وسطها كان يُقال لهُ « كوفان » وعليهِ اختطَّت مَهرة موضعها وكان هذا الجبل مرتفعاً عليها فسُمِّيت بهِ » اه (عن ياقوت ٤ : ٣٢٢). وانت اعلم مني بكون مَهرة من اصل كوشي وان الحرفين « ان » الموجودين في « كوفان » ما هما الَّا علامة الجمع عند هذه القبيلة كما كانت عند الكوشيين وان الفاء مبدلة من الثاء او الشين. فاذا افرغنا كل ذلك بقالب عربي حصل لنا منها « كوشيُّون » او « كوثيُّون » اي ان اصل ساكني الكوفة هم من بني كوش كما هو بيّن والتاريخ لا يحتقر هذا الراي

٣ (موقعها واسمها) موقع كويت الجغرافي طولًا شرقي باريس ٤٨° وعرضها الشمالي ٢٩° ٢٠ وهي مشرفة على البحر ولسبب استطلالها عليهِ عُرفت في القديم باسم القُرَين.

اما الكويت فاسم حديث لا يتجاوز القرنين ولم يكن لها شهرة في السابق لخمولها ولهذا لم يذكرها مؤرخو العرب ولا وصفوا بلادها وما ذكروه لا يُعتدُّ به قال ياقوت: القُرَين كأنهُ تصغير قرن: قُرَين نجدة باليمامة (وارض الكويت مع ارض البحرين تحسبان من اليمامة على التقسيم القديم) عنده قُتل نجدة الحروري اهـ. وسميت بالقرين لانها على شكل قرن يمتدّ في البحر والكويت تبعد عن الفاو وهو ثغر البصرة ١٢ ساعة بسير السفن الشراعية سيرًا وسطًا

٤ً (حدودها) الكويت قضاء من اقضية ولاية البصرة احدى الولايات الشاهانية يحدُّهُ شمالًا مركز قضاء البصرة وجنوبًا سنجق نجد وشرقًا خليج فارس وغربًا البادية الشامية او صحراء سورية وقائمقامها الآن الشيخ مبارك الصباح

٥ً (اقسامها الادارية) ليس لهذا القضاء نواحٍ كما لسائر اقضية البصرة لصغره

٦ً (هواؤها) أرضها وخيمة وهواؤها رطب حارٌّ في الصيف يُنحل الجسم وتنحلّ به عُرَى القُوَى حتى ان اهلها انفسهم يتشكَّون منهُ. واما في الشتاء فالهواء بارد جافّ مفيد للصحة

٧ً (ماؤها) ليس في الكويت نهر جارٍ وانما شربهم من الركايا والآبار وهي كثيرة وماؤها شروب. واما الشيخ والاكابر والتجار فيستجلبون ماء شربهم من جزيرة قريبة من الكويت اسمها فَيلَكَة (وهم يلفظونها فَيلَجة) ولحسن مائها فيها زرع واما في الكويت فَلَا. وقيمة القربة الصغيرة من الماء العذب قران واحد وقيمتها من الماء الشروب نصف قران. ولاهل الكويت ما عدا الركايا خزائن ماء مطر تتخذ من الخشب وتكون في بيوتهم وهم يجمعونهُ فيها في ابان الامطار على الطريقة الآتية وهي: يمدُّون سرادقًا رقيقًا مشتبك الخصاص على صحن البيت ويجعل على اطرافهِ المتدلية حجارة او نحوها لتسهيل تحدُّر الماء ويسوَّى لهُ فمٌ واحدٌ لكي يقذف ماءهُ في الخزانة المذكورة المتخذة من الخشب الثخين المتين. وهذه الخزانة تسع طنًّا او اكثر وربَّما بقي عندهم هذا الماء طول السنة بدون ان يفسد. والامطار هناك غزيرة ضخمة القطر الَّا انها لا تدوم الَّا في فصلي الشتاء

والربيع ولكثرة مياه الامطار تكثر الكمأة البيضاء الضخمة حتى انها تباع بثمن بخس لا يذكر

٨ً (القرى التابعة لقائمقامية الكويت) يتبع هذا القضاء « كاظمة » وقد عرفها العرب منذ القدم. وهي اليوم ثغر من ثغور خليج فارس وقد اهتم قائمقامها الشيخ مبارك بظل الحضرة الشاهانية ان يحسن ثغرها الطبيعي ويجعله ميناء. وذلك انهُ القى حجارة ضخمة كثيرة في مخاضه حتى سدَّ مقدَّمهُ من الجانبين وشقَّ صدرهُ وابقاهُ مفتوحاً ليرحب بالسُفُن القادمة الى الكُوَيت. واما كون العرب عرفوا كاظمة فقد قال في تقويم البلدان (ص ٨٥) :

ومن الاماكن المشهورة بالبحرين « كاظمة » بكاف والف وظاء معجمة [مشالة] مكسورة وميم وهاء وهي حون على ساحل البحر بين البصرة والقطيف وبين كاظمة والبصرة مسيرة يومين وبين كاظمة والقطيف مسيرة اربعة ايام وهي في سمت الجنوب عن البصرة ويُقال لها « كاظمة البحور » وهي منازل للعرب وبها مراعٍ جيدة وآبار كثيرة قريبة المدى » اه (وفي الاصل المطبوع : مراعي . . . والمدا وهما من الاغلاط الطبعية)

وهي التي قال فيها صاحب البردة :

أمن تذكُّر جيرانٍ بذي سلمٍ مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ
ام هبَّت الريحُ من تلقاء « كاظمةٍ » وأومض البرقُ في الظلماء من اضمِ

وقد اكثر الشعراء من ذكرها ولا حاجة الى ايراد شواهدهم. ومما يتبع هذه القائمقامية جزيرة فيلكة المذكورة قبيل هذا. ولم ارَ لها ذكراً في كتب العرب. واما قُناهُ فهي نخيل الفار الَّا القليل منهُ. ولهُ في كوت الزين وهي قرية بازاء الحمَّرة قصر فاخر . والرسوم التي يؤديها قائمقام هذا القضاء للدولة العلية تبلغ خمسة آلاف ليرة

٩ً (عدد سكان الكُوَيت وما يتعلَّق باهلها) يبلغ سكَّانها حالًا ٢٠٠٧٥ نسمة معظمهم المسلمون من مذهب السُنَّة ٢٠,٠٠٠ ثم اليهود ٦٠ ثم العجم على مذهب الشيعة ١٣ ثم النصارى ٢

ودورهم تقع في ما يناهز ٤ آلاف دار مبنيّة بالحجارة الضخمة التي يُؤتى بها من جوار البحر خصوصاً من جوار كاظمة وتُعقد كلها بالجصّ الحسن الذي يندر مثلهُ في سائر الانحاء. وكثير من دورها على طبقة واحدة ومنها ما هو على طبقتين ودورها على نهج دور البصرة. وفيها ايضاً فضلاً عن ذلك ٥٠٠ صريفة (١. وكانت الكويت قبل نحو ٥٠ سنة منازل تنزلها العرب باخبيتها فعمرت شيئاً فشيئاً ولم تزل الى يومنا هذا تزداد عمارة وعمراناً بظلّ الحضرة العليّة الشاهانية. واهلها كلهم من العَرَب من قبائل شتّى وجلّهم مسلمون على مذهب اهل السُنّة على ما رأيتَ فوق هذا. وليس لهم رغبة في العلم الّا ما يَعرِفون مما كُلِّفوا به من الدّين

واما اشغالهم فلا تخرج عن دائرة الزراعة او الفلاحة ورعاية المواشي والتجارة والصرافة واللاحة والغياصة. وكل من هذه الاشغال يخصُّ طبقةً من الناس وموطناً من تلك الاقطار ولهذا لا تراهم مجموعين في صقع واحد ولا في وقت واحد واليك تفصيل ذلك على ما فيهِ من الغرابة

اما الزرّاعون والفلّاحون الذين هم من بعض الاقوام المتحضرة فيغادرون وطنهم الكويت ويذهبون الى نواحي الفأو (Fao) لانهُ لا يوجد في الكويت نفسهِ زرع او نخيل او بساتين او اي خضرة كانت بل ولا يوجد ذلك حتى في جواره اللهمّ الّا القتّ (trèfle) الذي يلفظهُ اهل تلك النواحي الجتّ لعجزهم عن لفظ القاف لفظاً صريحاً) فيعتني بزراعتهِ اهل رعاية الماشية الذين اغلبهم من اهل البادية الهمّج

ويتعاطى اللاحة والغياصة اغلب الشبّان المتوسّطي الحال الساعين وراء اكتناز الاموال الوهميّة والطالبين للمراتب العالية الخياليّة في وقت قصير المدة او الذين لا يملكون شيئاً ويريدون ان يستغنوا في قليل من الزمان او الذين افلسوا ويحاولون

---

١) والصريفة في بلاد العراق وما جاورهُ من الاقطار: أزَجّ او بيت يُتّخذ من القصب ولاسيّما من السعف اليابس وهو المعروف هناك باسم العريف. والصريفة في العربية الفصيحة كما في عربيّة هذه الربوع: السفة اليابسة. فهي اذن من باب تسمية الكل باسم الجزء

استرجاع اموالهم الزائلة وما يُعتم هؤلاء جميعهم ان يتحققوا غرورهم فيرجعوا وهم اخيب من القابض على الماء (له تابع)

رحلة علمية

من اديس ابابا الى النيل عن طريق بحيرة رودلف (تابع)

بقلم جناب عبد الله افندي مخائيل رعد الصيدلي القانوني في بلاد الحبشة

﴿ بحيرة رودلف ﴾ ويدعوها الوطنيون « بحر باسو » — هي قطعة من الماء عظيمة يعلو مركزها سطح البحر ٥٦٥ مترًا ترى ضفافها وحليَّة وكثيرة المستنقعات ما عدا بعض الجهات القليلة حيث يحدُّها اكمات عالية. اما تكوين هذه البحيرة فلم يكن في البدء سوى قطعة من السهول الممتدَّة الى النيل انحطَّ قعرها من جرَّاء تقلبات بركانية حصلت في ذلك الاقليم ثم امتلأت هذه القطعة ماء من انصباب الغدران وبعض الانهر عليها كنهر اومو المارّ الذكر الذي يحمل اليها كمية ماء عظيمة من منحدرات جبال الحبشة. واطراف هذه البحيرة قليلة العمق فانَّ الحملة رأت طيورًا ذوات الارجل الطويلة تمشي في الماء على بُعد ثلاثة كيلومترات من الشاطئ. غير انهُ في أيام الامطار يرتفع سطح الماء ويتكوَّن في جوار البحيرة مستنقعات وبرك اخرى كثيرة واحدى هذه البرك مستديرة تعرف في الخرائط الجيوغرافية تحت اسم « خليج تايتو » او « خليج سندرسون ». وقد شاهدت ايضًا الحملة بالقرب من الشواطئ هياكل عظام لأسماك كبيرة وتماسيح وغير ذلك من الحيوانات المسمَّاة بلسان العلم (Anodontes, Ptomides, etc.) التي وُجدت بغتةً على اليابسة عند انحطاط الماء فهلكت. اما الماء فمكرٌ على الاطراف ذو رائحة طحلبيَّة وغير صالح للشرب لاحتوائهِ على كمية كبيرة من نترات الصوديوم ولكن المظنون ان في منتصف البحيرة تقلّ كمية هذا الملح كثيرًا

واضطرَّت البعثة ان تبقى مدة طويلة غربي البحيرة على جبل « تاگوا » لان الحمى كانت قد اعترت كثيرًا من رجال الحملة. اما سكَّان هذه الجهة فهم قوم كبير الاجسام اقوياء من شرّ الوطنيين وارحشهم عوائد واخطرهم جوارًا فانهم قتلوا اثنين

من رجال الحملة وبعضاً من جمالها فتأثرتهم الحملة وأسرت منهم اثنين بدلاً من القتلى واستخدمتهما بصفة دليلين على الطرقات

﴿ بلاد التركوانا ﴾ قامت البعثة من جوار البحيرة في ٢ تموز ووجهت خطاها نحو الغرب الى بلاد « التركوانا » فوصلت جبال هذه القاطعة بعد مسير اربعة أيام. وترى غربي هذه البلاد صحاري فسيحة قليلة الماء يتخللها بعض الروابي. ارضها يابسة مشققة وهذا مما يدل ان في فصل الامطار يتكون هناك مستنقعات كثيرة. اما سواقي المياه فهي نادرة جداً صعبة الوجود وبعيدة عن بعضها تنبع في سفح الروابي ويُظن انها ترشح من البحيرة فان طعمها مالح وتحتوي على كثير من نترات الصوديوم وبعضها تنبع حارة. غير انهُ يوجد في بعض المحلات صهاريج طبيعية بها شيء من الماء الحلو الذي كانت تستقي منهُ الحملة وتأخذ مؤونتها. ونبات هذه الارض قليل الانواع فلم ترَ البعثة هناك سوى شجيرات من نوع الميموزا ذي الشوك المعكوف وبعض شجيرات اخرى ذوات ورق سميك يدعوها الوطنيون شجر « آده »

وبعد ان قطعت الحملة هذه الصحاري وصلت الى الوادي الذي يسكنهُ التركوانا في ايام الامطار وكان وقتئذٍ خالياً لعدم وجود الماء والعشب لرعي قطعانهم. وهناك شاهدت الحملة كثيراً من شجر السر الهندي. اما الاهالي فانهم يرحلون في أيام القيظ الى جوار بحيرة رودلف. ومن هناك سار هؤلاء الرحالون في ١٥ تموز فقطعوا صحراء اخرى عظيمة اولها متصل ببحيرة رودلف وآخرها غير معلوم يتخللها بعض الجبال (ع من ١٢٠٠ الى ١٦٠٠ م) فجلسوا بضعة ايام قرب بئر « كالوليوموري » (ع ٧٠٠ م على مقربة من جبل « بيليكيتش » (ع ١١٠٠ م) قصد اخذ الراحة

واهل التركوانا كلهم كبيرو الاجسام متوحشون للغاية هيئتهم مخيفة ولا يفكرون الا في الحرب وشن الغارات بعضهم على بعض ما خلا النزر القليل ممن يتعاطون الحراثة وصيد الاسود والفيلة. ولا ملك عليهم ولا رؤساء فهم يعيشون عشائر عشائر متفرقين في الصحراء وهدفاً للغزوات. لونهم اسود فاحم ولا يلبسون شيئاً من الاثواب غير انهم كثيرو التفنن في عقد شعورهم فمنهم من يعقد شعرهُ حول رقبته ومنهم من يضفره شبه نصف دائرة على نقرته ويغرز فيهِ ريش النعام او قطعاً من الاخشاب التي يصطنعونها او زهوراً او مقاطيع حديد رقيقة كالنعال وما اشبه ذلك. وهم كلهم يقلعون

اثنين من منتصف اسنانهم السفلى ويثقبون منتصف شفتهم السفلى وكل دائرة آذانهم ويعلقون في هذه الثقوب الخرز والاساور والحلق وغير ذلك من الاواني الزجاجية والخشبية والحديدية. ولا يشاهد احدهم الا حاملا رمحين وترسا وبجانبه خنجر كبير. اما نساؤهم فطويلات مهزولات ووسخات قذرات يلبسن مئزرا من جلود المعزى يربطنه على حقويهن بزنار مصنوع من صفوف الخرز او قطع الحديد ويعلقن على هذا المئزر صفين او ثلاثة من بيض النعام الثقيل الوزن والكبير الحجم. وليس لهن سوى هذا اللباس وهن يطوقن اعناقهن بقلائد من الخرز او باطواق من الحديد. اما بيوت هؤلاء القوم فليست سوى زرائب واكواخ مصنوعة من الاغصان. وهم يقتنون كثيرا من المواشي كالغنم والماعز والبقر والحمير والجمال ولا يأتيهم من المتاجرين سوى بعض العبيد السواحليين الذين يجلبون اليهم الخرز وقطع الحديد والرماح والخناجر فيستبدلونها من عندهم بالعاج وريش النعام والحمير والجمال

﴿ بلاد كارامودجو ﴾ قام الرحالون من بلاد التركوانا واخذوا طريق الغرب التي تؤديهم الى النيل حيث منتهى رحلتهم فقطعوا سهولا كثيرة تختلف ارتفاع نقطها بين ٦٤٠ و ٧٤٠ مترا ثم جبالا اعلى نقطة فيها ١٠١٠ م حتى وصلوا الى « كارامودجو » فحطوا رحالهم عند النهر الناشف المسمى نهر « كالوانتونيو » (ع ١١١٠ م) حيث ينبت كثير من النباتات ذات الروائح العطرة وشجيرة الحنا المعروفة. فيناك مكثت الحملة بضعة ايام استراحت فيها لان المناخ جيد والماء طيب والارض كثيرة الخضرة والزهور وبنوع اخص لأن تلك الجهة كثيرة الطرائد فقنص رجال الحملة هناك كثيرا من وحيد القرن والزرافة والنعام والغزال والايل

﴿ بلاد اوتومور ﴾ بعد ان اقامت الحملة اياما بهيجة في تلك الناحية واصلت سيرها الى بلاد « اوتومور » فصعدت اولا جبل « ترور » (ع ٢٠٠٠ م) ثم نزلت من الجهة الغربية الشمالية الى الوادي الذي يسكنه الاوتومور. وهؤلاء الآدميون يشبهون التركوانا غير انهم اقل توحشا منهم كثيرو الخوف والخجل قد هربوا لاول وهلة من وجه رجال البعثة لكنهم لم يعتموا ان أنسوا بهم وصاروا يأتون الى مضاربهم حاملين اليهم من مزروعات ارضهم وهي الذرة والفاصوليا والبطاطا والفستق. ومضارب هؤلاء القوم نظيفة ومرتبة. واراضيهم خصبة جدا غزيرة الماء وطيبة الهواء. ومما يجعل

ذكرهُ في هذه البلاد وجود اكمة في منتصف السهل كلها قطعة واحدة من الحجر المدعو بالغنيس (gneiss) نظيفة لا تراب عليها يغطيها ولا حصى ولا نباتات. وهي هرمية الشكل ارتفاعها عن سطح السهل مائتي متر ومركز اسفلها يعلو عن سطح البحر ١٣٠٠ م يدعوها الاهلون « ليم » او « موروليم »

﴿ بلاد ادجالي السودانية ﴾ تابع رجال البعثة وجهتهم الى الغرب فرّوا بسهول لا طريق لها مغطاة بالعشب الاخضر الطويل والادغال وفيها برك كثيرة ومستنقعات ماء. فقطعوها مسير اربعة أيام ثم دخلوا بلاد « ادجالي » السودانية فوقفوا عند قرية « شولي » ثم مرّوا على قرى « ادلان وفدجولي وكورونكا وبايوي وليرا » وغيرها. واهل هذه البلاد معتدلو القامة عندهم شيء من التمدن لانهم نظروا الناس ورأوا المعاكر والتجار على عهد البعثات العسكرية المصرية. فاستقبلوا رجال الرحلة بكل ترحاب وحيّوهم باللغة العربية. ولباسهم غالباً جلود الحيوانات غير انَّ كثيراً منهم بدأوا يلبسون الاقمشة حتى الحريرية منها. وبيوتهم نظيفة محاطة بالاشجار وخصوصاً بالموز وهم رعاة وزرّاعون. واملاكهم منظمة نوعاً وهي مزروعة ذرة صفراء وبطاطا وفستق السودان (arachide) وذرة بيضاء (sorgho) وسمسم ونبات التيوكا (manioc) وكوسى وغير ذلك. وعندهم اسواق لها معاملات تجارية مع الاوغندة والخرطوم

﴿ بين بلاد ادجالي والنيل الاعلى ﴾ ثمَّ اتجهت البعثة الى الشمال بعد اجتياز قرى ادجالي فقطعت سهولاً يتخللها جبال واكمات ومرّت على وديان كثيرة الاشجار والانهار بها عدَّة قرى وحقول مزروعة وقطعان مواشي. واول نهر كبير صادفتهُ هناك هو نهر « اصوا » (ع ٩٢٠ م) فاجتازتهُ ثم اجتازت بعده نهر « بكجر » الذي يصب في النيل بعد مصب نهر اصوا فيهِ. عرض هذا الاخير من ٦٠ الى ٧٠ متراً وفي بعض المحلات ١٠٠ متر واما عمقهُ فلا يتجاوز خمسة امتار وقوَّة مجراه ٣٠ متراً في الدقيقة. يتخلله في وسطه بعض الجزر الصغيرة الخضراء. واما ضفاته فكلها اعشاب وقصب واشجار. ثم بعد مسير بضعة ايام ايضاً بين الحقول والاشجار والجبال والوديان اجتازت الحملة نهر « ياما » الذي يصب في النيل ايضاً ودخلت بلدة « مادي » فزارتها وزارت القرى المجاورتها فنظرت الفرق العظيم بين اهالي هذه الجهة وسكّان الجهات التي مرّت بها في اواسط

افريقية فرأت ان الاهالي كلهم لابسون الاثواب وبارجلهم الاحذية . وملابسهم كلها من المنسوجات القطنية والحريرية الكثيرة الالوان الفاقعة كالاحمر والازرق والاخضر وغير ذلك وهم يخيطونها بعضها رقعاً فتراها كالاعلام لتعدد الوانها ويُرى على وجوه اكثرهم جراح العتق وهذا مما يدل على انهم كانوا اولا عبيداً في جملة جهات متمدنة ثم أُعتقوا فجاوزوا وسكنوا هذه الارض . ولهم مزارع وحقول وسوق تجارة واغلبهم من المسلمين (التتمة لعدد آخر)

رسم المجاري النهرية في لبنان

للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس العلوم الشرقية الشرقية في المكتب الشرقي

١ افادات عمومية

باي اسم تدعو مجاري المياه في لبنان أتدعوها انهاراً او جداول او سيولاً فقط . ذلك ليس بامر سهل لولا انَّ العادة قد غلبت على السن القوم فيدعون بالنهر مسيل المياه عموماً فيقولون نهر بيروت بل يقولون نهر اغليساس مع انَّ مجراه لا يكاد يبلغ خمسة كيلومترات وسبب ذلك انَّ العرب لم يعرفوا في جزيرتهم الّا المياه الجارية في بعض فصول السنة وتلك الاودية والمياه الجارية جرياً متواصلاً بلا انقطاع سواء تبلغ البحر او تنصبُّ في نهر آخر (١

فما يبقى لنا سوى ان نجاري العادة المألوفة التي لا تحاو من سند كما اشار الى ذلك اليزابي روكار في كتابه عن الارض حيث قال (ص ٣٥١) : انَّ كمّيَّة المياه التي تجري في مسيل دون آخر لأمرٌ عرضي يختلف في قارة دون أُخرى وفي بلد دون بلد على مقتضى خطر بجمل المجاري المائيَّة فلو اعتبرتَ مثلاً بعض انهار اوربّة وعرضتها بانهار لميركة كالامازون وما ينصبُّ فيه من الاودية لمّا استحقَّت بان تُدعى جداول . ثم انَّ كمّيَّة المياه ليست ثابتة بل تختلف على مدار السنة . وبعض الانهار التي كانت في سالف الازمنة على

---

١) وقد افرز كتبة الصليبيين بين هذين الصنفين فان غليموس الصوري يدعو باسم « rivus » كوادي العاملتين وسمّى الانهار كنهر الكلب « fluvius »

سعة نهر المسيسبي قد صارت بعد التقلبات الطارئة على سيارتنا « انهاراً بلا ماء » لانَّ للانهار كما للانسان حياةً فتنشأ وتزخر ثم تنقص وتتلاشى . اه

ولا ريب في انَّ الانهار اللبنانية كانت في سالف الاعصار وعلى الأقلّ في الاطوار السابقة للتاريخ اعظم منها اليوم واكثر ماء . وكفى دليلاً على قولنا ان ننظر احواض هذه الانهر الفسيحة وسعة مسايلها القديمة . فانها تنبئ صريحاً باقتصار مجاري مياهها . وربَّما وُجدت في اعالي الاودية مغاور يعلو بعضها البعض كانت المياه تتبجّس منها . فمن فحص هذه الاغوار وسعتها وآثارها الباقية تحقَّق ان كمّيَّة المياه كانت اوفر منها اليوم

وما يُقال عن نقصان مياه الانهار اللبنانية في الزمن السابق التاريخ يُرجّح ايضاً اثباتهُ على رأينا للقرون التاريخيَّة . والشاهد على صحَّة قولنا ما تراهُ من الحواجز وسدود الانهار التي تكوَّنت عند مصابّها في العهد التاريخيّ وكذلك السهول المجاورة لهذه المصابّ فانها تاريخيَّة العهد . وكانت هذه الانهر قديماً بعد خروجها من الوديان التي منها نبعت تبلغ البحر تواً . وكان لا بُدَّ لها لبلوغ البحر من كمّيَّة عظيمة من المياه ليمكنها ان تظفر بما تلقاهُ في وجهها من العوائق كمقاومة الامواج البحريَّة وهبّ الرياح ورُكام الرمل الذي تنقلهُ السوافي

ولدينا ادلَّة اوضح على كثرة مياه بعض المجاري المائيَّة . انَّ قناة الرومانيين عند نبع نهر بيروت تدلُّ صريحاً على ان اصل هذا النبع كان ثمَّة في الاعصار الاولى لتاريخنا . وكذلك قد قاس العلماء كمّيَّة المياه التي كانت تجري منها فقدَّروها بمتر مكعَّب في الثانية وذلك دون ان يصيب المزدرعات اذًى من قلَّة السقي . امَّا اليوم فلو استقى البيروتيُّون كمّيَّة كهذه من ذاك النبع لفقدت السهول المجاورة ريَّها وجفَّت فلا بُدَّ اذن من القول بانَّ مياه نهر ماغوداس وهو لقب نهر بيروت قديماً كانت اغزر منها اليوم

هذا ثم انَّا اوردنا سابقاً في المشرق (٦ : ١٠٩٠) قول اسطرابون بخصوص لبنان والجبل الشرقي وبيَّنا انَّ هذا الجغرافي الشهير وهم في تعيينه وِجهة هذين الجبلين اذ زعم انهما يسيران من الغرب الى الشرق بدلاً من الشمال الى الجنوب وبينهما سهول البقاع التي أوصلها بالبحر وكان يحسب ان الاردن ونهر الكلب يجريان فيها . وادَّى به وهمهُ هذا الى ان ظنَّ بإمكان خوض نهر الكلب والسير عليه بالمراكب . ولعلَّهُ يوجد حجَّة لندافع بها عن قول اسطرابون وهي انَّ مياه نهر الكلب كانت في سالف الاعصار

اوفر منها في زماننا. وهذا مما يلوح من الطرق التي تُرى في مضيق نهر الكلب واكثر بعضها فوق البعض واقدمها طريق المصريين والاشوريين تعلو فوق الطريق الحاليَّة نحو ثلاثين متراً. ثم جاء الرومان ففتحوا طريقاً اخرى تحت الاولى ببضعة امتار كان السابلة يجوزون فيها الى زمن توتير العربات وهي ايضاً فوق سطح البحر بنحو عشرين متراً كما ترى في صورتنا. فليت شعري كيف يقال انَّ القدماء اختاروا لهم طريقاً في هذا العلوّ لينقلوا اليها عُدَدهم الحربيَّة وامتعتهم بعد العناء. لولا ان يقال انَّ مياه النهر كانت اغزر منها اليوم. وعليه فان كنَّا لا نوافق اسطرابون في قوله عن خوض نهر الكلب (١ فلا بأس من القول بانَّ طبقة مياه هذا النهر كانت اعلى منها في عهدنا وكميتها اوفر. وزد على ذلك انَّ سطح البحر قد انخفض بتمادي الاجيال كما سترى

وخلاصة الكلام اننا لا نخالف الجمهور في تسمية مجاري المياه اللبنانية بالانهار وان شاء القرّاء امكننا ان نقسمها قسمين الانهار الساحلية والانهار البرّية. فالساحلية ما كانت اوديتها محصورةً قليلة الاتساع واكثر انهار لبنان من هذا الصنف الّا النهر الليطاني والنهر الكبير فيدخلان في حيز الانهار البرّية وهما ينبعان في اواسط البلاد ما وراء سلسلة لبنان العليا. ومن عاين خارطة لبنان تحقَّق لاوّل وهلة انَّ هذا الجبل لا يحتمل لسير مياهه مجاري كثيرة الاتساع طويلة المسافة. ولو نظر الناظر من علُ لما قاس بين ضلع لبنان المركزيّ وساحل البحر اكثر من ثلاثين كيلومتراً وكذلك في خلف الجبل لا ترى سهولاً فسيحة رحبة الارجاء يمكن الانهار ان تنساب فيها وتأخذ مداها في التعريج والتوريب كما انَّ الاودية اللبنانية كلّها على خطّ متساوٍ قائمة على قطب الجبل لا تتحمّل اتساعاً كبيراً. وفي الواقع انَّ اكثر انهار لبنان سيول لا يتجاوز طولها بعض الاميال تندفع من اعالي الجبال دفعة واحدة الى البحر. وليس بينها نهر واحد يمكن القوارب فضلاً عن المراكب السير عليه. وذلك لكثرة انحدار مسيلها او لما يتوسّطها من الصخور وهذا ما منع الملاحين ان يخوضوا نهري الكبير والليطاني وكلاهما طويل المسير كثير الالتواء. كانَّ الطبيعة اعدَّتهما ليوصلا بين جهات قاصية

*

١) راجع تاريخ الفينيقيين (ص ٥٠) حيث فنَّد بتبيان رأي اسطرابون

ربّما اعتاص على الجغرافيين في وصف مجاري مياه البلاد ان يعيّنوا لكل حوض النهر الاصلي الذي فيه تنصبُّ بقيّة المجاري الماءيّة كانهار ثانويّة. وليس في وصف انهار لبنان مشكل كهذا لما عرفنا من سذاجة تركيب هذا الجبل. والانهار اللبنانية تشبه اجهزة عصبيّة قليلة الاشتباك تجمع كما في قناة مركزيّة الرطوبة التي تأتيها بها في فصول الشتاء الجداول الصغيرة الواقعة على جانبيها. امّا النهر الكبير الذي يسيل في وادٍ متسع لا في مضيق كغيره من الانهار اللبنانية فله سواعد تنصبُّ فيه اكبرها وادي خالد يكاد يساوي النهر الكبير بكثرة مياهه حتى يبقى الناظر في ريب اي منهما هو الشِعب الاعظم. وعلى كل حال لا يُنكر ان نبع وادي خالد اقصى سواعد النهر الكبير جنوبًا وابعدها من مصبّ هذا النهر في البحر. وكذلك نهر الليطاني فلانّهُ يسيل في وادي البقاع المتّسع تجد سواعدهُ الجارية اليه فسحةً لجراها وهي كلّها بالنسبة اليه كمجاري ثانويّة اذ تنضمّ اليه في مسيله الكبير. غير انّ بعض كتبة العرب قد جعلوا عين جار كنبع نهر الليطاني. وما لا يُنكر ان مياه نهر الزّاعر الذي يجري من هذه العين اوفر من مياه الليطاني التي ينصبُّ فيها. ولكن قد وهم هؤلاء الكتبة بجعلهم عين جار كاصل الليطاني لوفرة مياهها بدلًا من النبع الأقصى. فانّ الانهار لا تُحدَّد بما يأتيها من السواعد بل بينابيعها الاصليّة القاصية. ولولا ذلك لعُدَّ نهر اليرموك كاصل نهر الاردنّ لغزارة مياهه وهو ينصبُّ فيه. وهذا مذهب لا يسلّم به احد

واذا اعتبرنا هيئة مجاري الانهار في مسيرها وجدنا ايضًا انّ هذا منوط بتركيب الجبل فانّ المياه تجري حسب وجهة الاودية وتركيب الصخور. فلمّا كانت هذه الاودية متساوية ومركّبة من صخور كلسيّة لا تقوى على سورة المياه سارت الانهار فيها على خط مستقيم واذا وجدتَ النهر يعرّج في سيره فذلك دليل على اختلاف طبقات المكان الجيولوجية كما ترى في اكوام انهار لبنان الجنوبيّة كالدامور والاوّلي والزهرانيّ فانّها بعد خروجها من بين الصخور الصلبة (grès cénomanien) تبلغ الجهات المركّبة من الصخور الكلسيّة السهلة الانحلال فتعدل عن الجنوب مائلةً الى البحر. وهذا يظهر خصوصًا في نهر الاوّلي كما سترى

وهنا لا بُدَّ لنا من استلفات الانظار الى النتائج الوخيمة التي ادّى اليها تجريد

لبنان عن غاباته بحيث صار هذا الجبل اهلًا بالبوادي القاحلة الجدبة وهو حريٌّ بان يكون في سوريَّة بمنزلة جبال الالپ في سويسرة. وذلك انَّ مياه الامطار والثلوج بدلًا من ان تغور في التربة وتنفذ في جذور الشجر صارت تنحدر مسرعةً الى اسافل البلاد وهي تجرف في سيرها ما امكنها من التربة والحجارة والصخور بل هبطت الى الاودية قطع كبيرة من الروابي والجبال بقوَّة السيول والاعصارات. ثمَّ توالت على الجبل آفةٌ أخرى وهي آفة المعزى والمواشي التي تقطع النبات او تقلع جذوره فتفقد الجبل كل تربته الزراعيَّة وانتصبت صخوره المتجرِّدة وانفتحت فيه الوهاد العميقة الحجرة التي صارت مجازًا للسيول جارفة لم تُرسابتًا. واضحى الماء آفةً للخراب بعد ان كان نعمةً يخصب التربة ويغذي جذور الاشجار بالأملاح النافعة التي يحلّلها. وهكذا تُعلَّل تلك الاعاصير الهائلة التي تصيب في كل شتاء بعض اقسام الجبل فتفسد المزدرعات وتهدم البيوت والطواحين وتخرب في يوم ما لم يُحصَّل عليه بعد سنين من التعب. وذلك لانَّ اصحاب الارزاق لم يحافظوا في جهلهم على الغابات وقطعوا اشجارها الثمينة بغيةً في الربح فعاد عليهم طمعهم وبالا

فلملافاة هذه البوائق ليس من وسيلة انجع من نصب الاشجار فانهُ قد ثبت بالتجربة ان مياه الامطار الساقطة على الغابات لا يسيل منها الَّا ستَّة اعشارها فينفذ في الارض ويسيل منها سيلًا منظَّمًا. وكذلك من الوسائط المستعملة لملافاة اضرار الاعاصير ومياه الفيضان الاحواض والقنوات لسقي الاراضي وتحريك الرحيّ والآلات. فيصير بين الطبيعة والاعمال البشريَّة كتبادل في الخدم. وانَّما كل ذلك يذهب سدًى بخراب الغابات والاشجار

وكذلك يجب ان تنسب تجريد لبنان من شجره اتساعَ مسيل بعض الانهار لاسيَّما في الجهات القريبة من السهول كما ترى في نهر بيروت ونهر الجوز. فانَّ المياه عند خروجها من مضيق واديها اذا قوبلت باتساع مسيل النهر لا تكاد تبلغ القسم العشرين منهُ فلا ترى منها الَّا جدولًا صغيرًا يجري بين الصخور المحطَّمة وركام الحصى والرمل. وإنَّ ذلك الَّا ما جرفهُ النهر من اعالي الجبل في ايَّام السيول الشتويَّة. ولو كان الجبل مزروعًا بالغابات لمَا سحا بهذه التربة ولا زحف امام هذه الصخور ولبقي في حدوده

وفي الانهار صخور قليلة الارتفاع تعترض المياه فتتحدر هذه منهـا مزبدةً فتلك

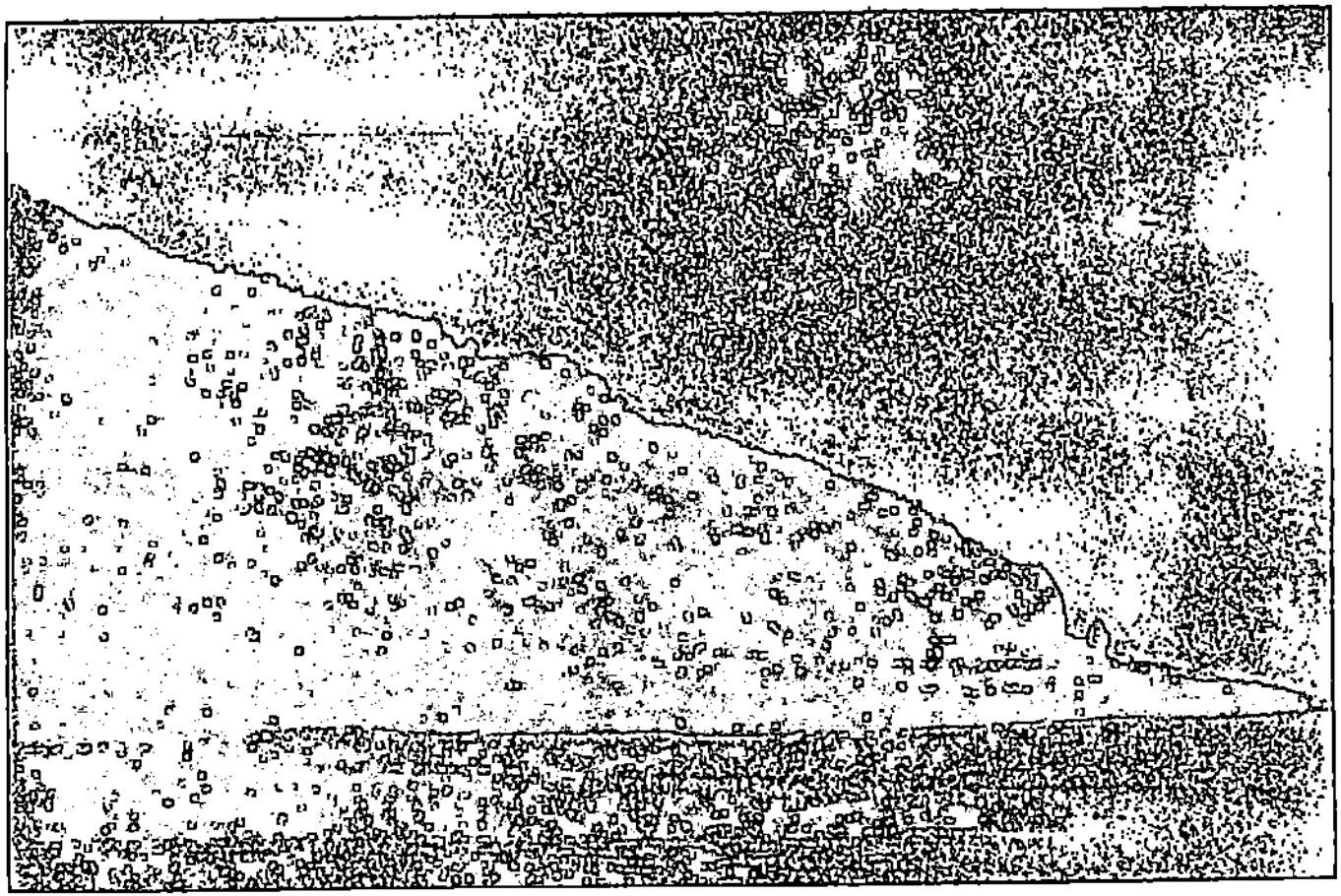

١ طريق العربات ٢ الترامواي اللبناني ٣ السكة الرومانية ٤ طريق المصريين والاشوريين

السهل التي بين الجسر المذكور والبحر تتركّب من جرف مجاري النهر والبحر المتعاكسة ولا ريب عندنا انّ مياه النهر كانت بعد خروجها من مضيق الوادي تنصبّ في البحر على خطّ مستقيم على مقتضى ميلها. اذ ليس ثمّة حواجز صخريّة او غير ذلك ممّا يعدل بها عن مسيرها والفسحة كلّها مركبة من رمل وطين يسهل قطعهما. الّا انّ الرياح الغربيّة حملت هناك كميّة واقرة من الرمل أقامتها كربوة وعدلت بمياه النهر نحو الجنوب فزاد مجرى نهر ابراهيم بتوالي الاعصار نحو الف متر. ولعلّهُ كان طال مسيره جنوبًا لولا ما يقوم في وجهه من الصخور المنتصبة على البحر التي تضطرّهُ ان يصبّ في الجون الذي هناك

امّا نهر الدامور فانّ جرف الرمال البحريّة والطين النهري قد تكوّم عند سدّهِ الجنوبي وارتفع هذا السدّ وتمكّن حتى مال بالنهر الى الشمال

ووجود هذه الحواجز يعمّ كل الانهار اللبنانية حتى انّ نهر الكلب نفسهُ لا يخلو منها رغمًا عن موقعهِ بين الصخور. وهذا النهر يصبّ ترًا في البحر عند رأس شمالي. امّا الضفّة الاخرى فلا تتّسع اكثر من مئة متر لمجرى المياه. فكان ينبغي للنهر ان يبلغ الساحل بكلّ قوّتهِ بعد خروجهِ من مسيلهِ الحرج فلا يميل يمينًا او شمالًا ومع ذلك ترى عند مصبّهِ سدًا من الرمل متحدّبًا من جهة البحر قائمًا تحت الصخور الشمالية متركبًا من رسوب البحر وجرف النهر (لهُ بقيّة)

شرح كتابة تلّ المتسلّم

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

اكثرت الجرائد المحليّة من ذكر الاثر الجديد الذي اكتُشف حديثًا في تلّ المتسلّم وهو خاتم ثمين من حجر اليشب وجدهُ الدكتور شوماخر في اثناء الحفريّات الجارية هناك برخصة الدولة العليّة فاتى بهِ اخيرًا عزتلو امين افندي وكيل قائمقام حيفا و (القومسيار) متولي نظارة الحفريّات الى حاضرة الولاية ليُرفع الى المتحف الشاهاني. وكان اكتشافهُ في ٤ صفر من سنة ١٣٢٢ للهجرة الموافق للعشرين نيسان ١٩٠٤ مع عاديّات أُخرى من

جملتها كما قيل خاتمان صغيران نقشت عليهما صورة الخنفساء (scarabées) مع اسم الفرعون تحوتمس

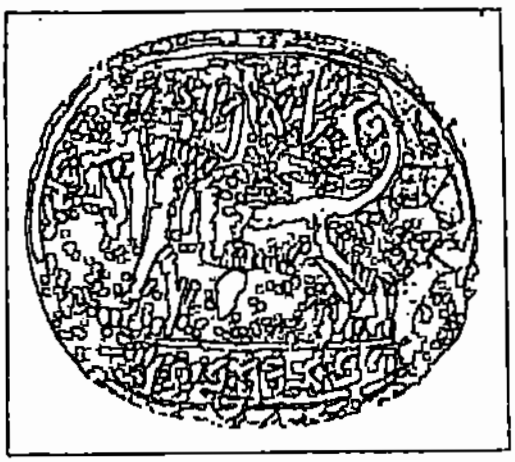

اثر تل القلم مكبرًا بالتصوير الشمسي مرة ونصف

اما موقع اكتشافهما فهو مكان يُعرف اليوم بتل القلم قريبًا من قرية صغيرة تُدعى اللجيون التي خلفت مدينة مجدّو الشهيرة المتكرر ذكرها في الاسفار المقدسة بعد انتصار يشوع بن نون على ملكها (يشوع ١٢: ٢١) وموقع اخربتها جنوبي شرقي جبل الكرمل في مرج عامر

ولمّا بلغ هذا الاثر الى ايدي ملجإ الولاية ووصفهُ اصحاب الجرائد وصفًا بقيتا منهُ في ريب التساؤ من مكارم صاحب الدولة خليل باشا والينا الجليل بان يُطلعنا عليهِ ويسمح لنا برسمهِ فاجاب الى طلبتنا بما عُهد فيهِ من اللطف والرغبة في نشر المعارف ورخّص لنا بادراج الأثر المذكور بالرسم الشمسيّ في هذه المجلة لتعميم الفائدة. فلدولتهِ منّا اوفر الشكر نخلّدهُ على صفحات هذه المجلّة

وهذه صفة الخاتم المذكور انهُ من الياشب الصلب المجزّع ذي اللونين احمر قاتم فرماديّ وهو مستوٍ في اعلاه محدّب في اسفلهِ حسن الصقل . وعلى وجههِ الاعلى صورة اسد متقنة الحفر مع كتابة لا تتجاوز ثلاثة الفاظ فوق ظهر الاسد وتحت قوائمهِ

وقد درس هذا الاثر حضرة الاب سبستيان رتزقال مدرّس الآثار الشرقيّة في مكتبنا الشرقيّ فبنى عليهِ قسمًا من درسهِ لطلبتهِ في مساء يوم الجمعة الواقع في ٧ ايار. وقد حضرنا مع كثيرين شرحهُ لكتابة هذا الخاتم فكان كاملًا شاملًا كما ألِف عادة حضرتهِ في شرحهِ للعاديّات وهذه خلاصة بحثهِ

انَّ هذا الأثر لا شكَّ من النفائس. الكتابة المرسومة عليهِ فهي عبرانية منطوقها « اشبع بن يربعم » على هذه الصورة

לשבע
בן יבעם

قلنا ان هذه الكتابة عبرانية والدليل على ذلك ليس فقط مكان اكتشافها مجدّو الداخل في تخوم اسرائيل بل صورة اسمَيها اللغوية فانَّ « شبع » اقتضاب للفظة « شمعيهو » اي « سمع الله » وقد ورد في الكتاب الكريم على صورتهِ المبتورة كما في الخاتم (راجع اخبار الأيام الاوّل ف ١١ ع ٤٤) ووجدهُ العلّامة كلرمون غانو على خاتم آخر على الصورة نفسها. امَّا يربعام فهو اسم معروف لملكين تولَّيا الامر على بني اسرائيل احدهما يربعام بن نباط عبد سليمان الذي فرَّ من وجه هذا الملك وتولّى من بعدهِ على العشرة الاسباط من نحو سنة ٩٣٣ الى ٩١٢ قبل المسيح. والآخر يربعام الثاني ابن يهو ملك من ٧٣٨ الى ٧٤٣ ق م. ولعلَّ الاسم بالعبرانية مجموع كلمتين « يارب » اي يزيد و « عم » اي الشعب والأمة. ومعناهُ على شبه معنى « رحبعام » اي اتَّسع الشعب وهو اسم ابن سليمان الملك الذي خلف اباهُ على ملك بني يهوذا. امَّا لفظة « عبد » فهي عبرانية ايضاً وهي موجودة في كل فروع اللغات السامية

ولعلَّ معترضاً ينكر اصل هذا الخاتم العبرانيّ بدليل ما عليهِ من تصوير الحيوان وكان الله حرَّم على شعبهِ ان يصوّر تصاوير الحيوان. فالجواب على هذا الاعتراض انَّ العلماء وجدوا صورة الاسد بل صور حيوانات أُخرى كالبقر والغزال على آثار عبرانيَّة لا شكَّ فيها. وفي صورتنا المرسومة هنا (ص ٤٧٤) بعض هذه التصاوير نقلًا عن مجموع الكتابات الساميَّة (CIS p. II) وتصانيف كلرمون غانو ودي ڤوكويه ولدزبرسكي. وان سألت وهل هذه الصورة صنمٌ معبود او شارة رمزيَّة كان الجواب انَّ الامر تحت ريب فانَّ صورة الاسد كانت شائعة ليس فقط بين الاشوريين والبابليين بل في بلاد فارس وما بين النهرين وفينيقية وآسية الصغرى وقبرس ورودس كما يدلُّ على ذلك ما لدينا من الآثار المتعدّدة فمنها ما كان للعبادة ومنها للدلالة على القوَّة والبأس ومنها للزينة فقط بل وُجدت عدَّة اثقال وأوزان على صورة الاسد

فان كانت اذن الكتابة عبرانية بلا ريب فترى متى كتبت وهل يمكن الاستدلال على تاريخها من نفس مضمونها

قلنا ان اعتبرنا الكتابة وجدناها شبيهة بأقدم ما ورد من الكتابات العبرانية وكفى بصورة حروفها للدلالة على قدمها فانَّ كل حرف منها يثبت هذا القِدَم ولو اردنا بيان ذلك لاتسع بنا المجال لكننا نجتزئ بايراد ثلاثة آثار تُعدّ من اقدم الآثار الكتابية في العبرانية للمقابلة بين حروفها وحروف كتابتنا الحاضرة (راجع الصفحة ٤٧١). وهذه الكتابات هي اوّلا كتابة الملك مشع الشهيرة في القرن التاسع ق م. ثمَّ ثانيًا كتابة وُجدت على جام من نحاس مضمونها تقدمة لجبل لبنان الاله من القرن التاسع او العاشر ق م. وثالثًا كتابة عين سلوان تاريخها نحو ٧٠٠ قبل المسيح فاذا قابلتها بكتابتنا وجدت انَّ هذه الكتابة من صنف الكتابتين الأوليين

أفتستنتج من هذا انّ الكتابة لاحد ابناء سليمان النبي كما ذكرت الجرائد ؟ لا لعمري فانَّ يربعام ليس هو ابنًا لسليمان وانما كان احد عبيده فقط كما سبق. ولعلَّك تقول كفى بهذا الاثر شأنًا انهُ لعبد الملك يربعام ويربعام كان على عهد سليمان الحكيم ابن داود

على رسلك وما ادراك انَّ يربعام هذا هو يربعام الاوّل الذي خلف سليمان على ملك العشرة الاسباط وليس يربعام الثاني ابن يهو الذي جلس على سدَّة الملك بعد الاوّل بنحو مئتي سنة

ثم ما ادراك ان يربعام المقصود هنا هو احد الملكين المعروفين بهذا الاسم وليس احد الامراء او الولاة الذين دعوا بالاسم عينهِ. فان كنَّا لا نجد في التوراة غير هذين الملكين باسم يربعام فانهُ من المحتمل ان يكون سُمّي بهِ احد الاعيان من بني اسرائيل

فما الرأي اذن في هذه الكتابة ؟ مَن كاتبها ؟ وهل يُنكر انَّ شمع صاحبها من عُمّال احد الملكين المدعوَّين باسم يربعام ؟

دونك ما يمكن قولهُ في هذا الشأن : اوّلًا اذا اعتبرنا هيئة الكتابة ليس من مانع ان نجعلها لاحد عمّال الملك يربعام الثاني في القرن الثامن للمسيح بل لعامل يربعام الاوّل في القرن العاشر وان لم يكن لدينا حجّة قاطعة على ذلك سوى هيئة حروفها

ثانياً لا نجد في الآثار ما يفيدنا جلياً عن امر شمع المذكور ومقامه ورتبته واعماله

ثالثاً يرجّح كون شمع من سراة القوم واعيان الامة. يؤخذ ذلك من اعتبار الخاتم عينه. فانّ خاتماً كهذا غالي الثمن حسن النقش لا يصلح لرجل من العامّة فلا بدّ من القول انّ صاحبهُ كان من وجوه زمنه

وان قيل انهُ يدعو نفسهُ « عبداً » وذلك يخص بشأنه اجبنا انّ كلمة عبد في اللغات السامية كثيراً ما يُراد به العامل مطلقاً والخادم ويجوز لصاحب رتبة عالية ان يلقب بها نفسهُ لاسيّما اذا كان يربعام سيّدهُ ملكاً فانّ العُمّال والوزراء كثيراً ما يجعلون نفوسهم عبيداً لملوكهم دون ان يلحق بهم عار لذلك بل ربّما تفاخروا بهذا الاسم. ثم انّ الأثريين وجدوا بين العاديات السامية كتابات صريحة تدلّ على تخصيص هذا اللقب باشراف وخدمة الملوك. ومن ثم يجوز القول بانّ شمع مع كونهِ تلقّب بالعبد كان من اعيان الملوك

فمن ذلك اوّلاً كتابة التقدمة للاله لبنان السابق ذكرها فانّ صاحبها يدعو نفسهُ « عبد حيرام ملك الصيدونيين » ثمّ جاء في قطعة كتابة على جام وُجدت في نينوى على نصب احد الملوك ما نصّهُ « لخلص عبد ملكرم » (انظر في الصورة العدد ٧). وكذلك (في العدد ٨) كتابة عبرانية منطوقها « لمكل عبد ابرم (١ ». وكتابة ثالثة (في العدد ١٠) هذا حرفها « لشبنيو عبد عزيو (٢ ». وكذلك في المجلّة الأثريّة من السنة ١٨٦٨ كتابتان (اطلب العددين ١١و١٢) في الاولى « لعزم عبد عزربعل » وفي الثانية « لأبيو عبد عزيو(٣ ». واوضح من ذلك كتابة (العدد ١٣) اثبتها كلرمون غانو في مجموعهِ (٤ يدعو فيها احدُ الاشخاص نفسهُ « عبد الملك ». فكلّ هذه الشواهد تبيّن جلياً ان شمع المذكور لمكنهُ ان يطلق على نفسهِ اسم عبد وهو في خدمة رجل شريف ولعلهُ الملك يربعام وان لم يقدّم على اسم متبوعهِ لقب الملك

رابعاً واخيراً ان صحّ كون شمع هذا احد عُمّال يربعام الاوّل ليس بمحال ان يكون هو شمع (وفي ترجمتنا شاماع) المذكور في سفر اخبار الأيام الاوّل (١١ : ٤٤)

---

١) راجع المجلّة الاسيويّة J A, 1883 II, N^os 34 et 12

٢) راجع De Longpérier, Œuvres I, 198

٣) راجع RA, I. pl. XIV n° 2 et 39

٤) راجع RAO, I 33-37

مقابلة بين حروف الاثر الجديد والآثار القديمة

	كتابة عين سلوان نحو سنة ٧٠٠ ق م	كتابة على جام لبيان في القرن التاسع ق م	الكتابة المكتشفة حديثاً في تل القسلم	كتابة الملك ملم الثالثة في القرن التاسع ق م		الكتابة المكتشفة حديثاً في تل القسلم	كتابة على جام لبيان في القرن التاسع ق م	كتابة الملك ملم الثالثة في القرن التاسع ق م
ا	٩	٩	٩	٩	ب	٩	٩	٩
د	٥	٥	٥	٥	ج	٥	٥	٥
ى ر	٧	٧	٧	٧	د	٧	٧	٧
ل	٧	٧	٧	٧	ه	٧	٧	٧

١ الاثر المكتشف في تل القسلم على كبره الاصلي

٢ — ٦ صور قديمة لأسود ارامية وفينيقية وعبرانية مع أعلام اصحابها

٧ — ١٣ كتابات قديمة وردت فيها لفظة العبد (٦٦٦) بمعنى الخادم والعامل

كاحد قوّاد الملك داود. فلو افترضنا انهُ كان ابن ٣٥ سنة عند وفاة داود (٩٧٠ ق م) امكنهُ ان يعيش الى أيام يربعام الاوّل ملك اسرائيل فيكون عمرهُ اذ ذاك ٧٥ سنة. وهذا امرٌ محتمل. لكنَّ كل هذه الأقوال حدس وتخمين لا يمكننا القطع بها

وان قيل ان الآثار المكتشفة مع هذا الخاتم تدلُّ على انهُ من أيام يربعام الاوّل اجبنا ان الامر ممكن الّا انَّ الادلّة الواردة في الجرائد ليست كافيةً حتى الآن لتحكم الحكم الفصل في هذا الشأن ومن ثم ننتظر ريثما ينشر الدكتور شوماخر قرارهُ الرسميّ في الحفريّات وتفاصيل احوالها لانَّ وجود خاتمين لتحوتمس هناك لا يدلُّ على ان هذا الفرعون كان في أيام شمع اذ امكن اجتماع الأثرين في مكان واحد لاسباب مختلفة مع اختلافهما في الزمان. والله اعلم

نسخة جديدة من شعر الاخطل

لحة للاب انطون صالحاني اليسوعي

كتبنا من نحو سنة مقالة في المشرق عن نسخة خطيَّة من ديوان الاخطل وُجدت في بغداد وبيَّنا مزاياها وشوائبها. ويسرّنا اليوم ان نُطلع محبي الدروس العربية انهُ اكتُشفت نسخة أخرى من شعر هذا الشاعر الفحل هي الآن في ايدي حضرة العلامة القانوني اوجينيو غريفيني في مدينة ميلانو. وهي من جملة شذرات خطيَّة تنيف على الخمسمائة مجموعة في ١٢٤ مجلّدًا وردتهُ من مدينة عدن ومصدرها من داخل البلاد العربية. وعلمنا ان حضرته يُعدّ لوصف هذه النسخ ومندرجاتها فهرساً مطوّلًا سينشره قريباً

وقد رتّب هذه المجلدات وميّزها بأعداد حسبما كانت ترده. فالمجلد المتضمن شعر الاخطل موسوم بالعدد ١٩ ويحتوي سبعة مقاطيع في ١٠٨ ورقات من الكاغد القديم طول الورقة ٢٥ سنتيمترًا في عرض ١٧ سنتيمترًا. امَّا الخطّ فانهُ نسخي يميّ مع اختلاف يُذكَر في المقاطيع السبعة. وكثيرًا ما يستعمل كاتبه علامات لتحقيق الحروف

كالعلامة ٧ (١ فوق الحروف ح ر س ص ط ع او رسم نقطة تحت حرفي الدال والطاء او رسم حاء صغيرة تحت الحاء وصورة ع صغيرة تحت العين او فوقها. وكل ذلك اشارة الى ان هذه الحروف مهملة. ونقطة تحت الفاء للدلالة على انها حرف الفاء لا حرف القاف. ومما يحسن التنبيه اليه هو ان الناسخ يرسم عادةً الكسرة بهيئة عمودية او بميلة من الشمال الى اليمين. وكثيرًا ما يرسم الفتحة بين الحرف والنقط والحركات تحت الضوابط خلافًا للاصطلاح الجاري اليوم. ويرى العلامة غريفيني من فحص ورق ومداد وخطّ هذه النسخة ان تاريخ كتابتها يرتقي الى القرن السابع للهجرة

والقطعة الرابعة من هذا المجلد تحتوي على شعر الاخطل (٢ وهي كناية عن ٤٩ ورقة طول المخطوط من صفحاتها ١٩ سنتيمترًا في عرض ١٢ وفي كل صفحة ١٨ سطرًا

وليس في هذه النسخة اليمنية كامل شعر الاخطل المعروف بل جزء يسير منهُ اي ٧١٤ بيتًا مع بعض شروح. واوسع ما ورد من هذه الشروح عُلِّق خاصّةً على القصائد التي نشرناها في الديوان المطبوع

على انَّ قسمًا من هذه الابيات وهو القسم الاوفر اي ٥٠٧ ابيات مُثبت في طبعتنا والقسم الآخر لا وجود لهُ فيها وهو ٢٠٧ ابيات

وبما ان النسخة اليمنية فُقد معظمها وجُمع ما بقي منها في اوراق وُجدت متفرّقةً

---

١) اصل هذه العلامة لا الثانية. كأنهم قصدوا بها تنبيه القارئ ان لا نقط على الحرف فيجب ان يقرأهُ مهملًا غير معجم

٢) ما عدا ورقة أُقحمت في منتصف القطعة تتضمَّن قصيدتين الواحدة دالية ذات سبعة ابيات لم نطّلع عليها. والثانية رائية ذات ١٣ بيتًا أُرسل لنا منها البيتان الاوّلان. وليست من شعر الاخطل ولم تعنون كسائر القصائد بعبارة « وقال الاخطل ». فضلًا عن ان قرطاس هذه الورقة ومدادها لمحدث من قرطاس ومداد باقي الاوراق. وهذا بدء القصيدة الرائية « وقال يرثي محمد بن حميد على قافية الراء

حرامٌ على عينٍ بجفنٍ لها شفرُ وأن تسأمَ التسكابَ ما بقيَ الدهرُ
كذا فليجلَّ الخطب وليفدح الامرُ وليس لعينٍ لم يفضْ ماؤها عذرُ »

الى آخر الابيات. قلت ان هذه القصيدة اذا استثني البيت الاوّل هي لابي تمام الطائي وهي ٣٩ بيتًا. (راجع ديوانه طبعة مصر الصفحة ٢١٤ وطبعة بيروت الصفحة ٢٢٩ وكتاب الاغاني الجزء التاسع الصفحة ٩٨ والجزء الخامس عشر الصفحة ١٠٧)

لذلك ترى اغلب قصائدها مبتورة غير كاملة . وها نحن نبيّن ما فيها من الابيات تمّا هو مُثبت في طبعتنا معيّنين الصفحات من هذه الطبعة (١ وهي: ١٢,٤,٣ — ٢٣,١٦ — ٢٦, ٣٣, ٤١—٥١,٤٣—٥٨, (و ٢٧٨), ٧٦—١٤٦,٧٩—١٧٦,١٥١—١٨٣,١٨٠ ١٨٤, ١٨٦—١٩١,١٩٥,١٩٦,٢٠٢—٢٠٧,٢٢٠—٢٢٢, ٢٢٤ — ٢٢٩, ٢٤٠ (السطر الثاني فقط), ٢٤١ (السطر ١٠ و١١) ٢٤٢, ٢٤٣ (يوجد مرتين اي في موضعين مختلفين من النسخة اليسنية) ٢٤٤, (كذلك), ٢٤٥ — ٢٥٥, ٢٥٧—٢٦٢, ٢٦٨, ٢٦٩, ٢٧٤, ٢٧٨, ٢٨٠—٢٨٣,٢٨٦ (السطر ٧ فقط), ٢٨٧, ٢٨٨ (السطر ١٠ و ١١), ٢٩٧, ٣١٢, ٣٣٥ (السطر ٨ و ٩), ٤٠٠ (السطر ٣ و ٤)

هذا وانّ حضرة العلامة غريفيني بما له من الغيرة على خدمة العلم والعلماء يُعنى الآن بمعارضة الابيات الموجودة في نسخته بالديوان المطبوع . نشكره خالص الشكر على هذه الهمّة . وقد ارسل لنا جزءاً من الروايات التي افادتنا لتصحيح بعض الأغلاط مثلاً في السطر ٤ من الوجه ١٥ « ووَارَى الرامي الغيلُ » عوض « وراء الرامي الغيل » وفي الوجه ١٦ السطر ٧ « مردفةً » بدل « مردفةٌ ». وفي الوجه ٢٥ السطر ٢٠ « بزفرةٍ » عوض « بذنبه » و « صابية » بدل « صادقة » مع ايراد شرح البيت . الخ

ثم ان حضرته رغبةً في تعريف النسخة التي في يده بنوع ادقّ وعلميّ قد اكرم علينا بارسال ستة اوجه منها مرسومة بتصوير النور فافادةً للقرّاء احببنا ان نثبت اثنين منها في المشرق مع قصيدةٍ بكاملها لا وجود لها في الديوان المطبوع . وبما ان القصيدة سهلة الفهم اكتفينا ان نذيل بعض الفاظها بشرح وجيز

ومَن اعتاد تلاوة شعر الاخطل يخال لهُ لدى مطالعتهِ هذه القصيدة ان بينها وبين بقيّة شعره فرقًا يُذكر لانها وان كانت رقيقة المعاني وموسومة بطابع الشعر القديم يفوتها مع ذلك شيء من النفَس العالي والإقدام وفخامة اللفظ ومتانة التركيب وأسر المعاني شأن اغلب قصائد الاخطل . ولعلّهُ انشد هذه القصيدة قبل رسوخ قدمهِ في صناعة الشعر وقبل ان تشحذ قريحتهُ مصاحبتهُ للخلفاء ومعارضته للشعراء

---

١) اقتبسنا هذه الفوائد من تحاريرِ حضرة العلّامة غريفيني

وقال الاخطل

قِفَا يَا صَاحِبَيَّ بِنَا أَلَمَّا ... عَلَى دِمَنٍ نُسَائِلُهَا سُؤَالَا
قِفَا زُورَا مَنَازِلَ أُمِّ عَمْرٍو ... وَرَسْمًا بِالْمَنَازِلِ قَدْ أَحَالَا (١
أَهَاضِيبُ الدُّجَى مِنْ كُلِّ جَوْنٍ ... سَقَاهَا بَعْدَ سَاكِبِهَا سِجَالَا (٢
فَكَمْ مِنْ وَابِلٍ يَأْتِي عَلَيْهَا ... يُلِثُّ بِهَا وَيَحْتَفِلُ احْتِفَالَا (٣
فَدَارُ الْحَيِّ خَالِيَةٌ قَلِيلٌ ... بِهَا الْأَصْوَاتُ إِلَّا أَنْ تَخَالَا (٤
كَأَنَّ تُرَابَهَا مِنْ نَسْجِ رِيحٍ ... طَحِينٌ لَمْ يَدَعْ لَهُ بُخَالَا (٥
أَلَا يَا أَيُّهَا الزُّوَّارُ الْمُحَيَّا ... أَتَسْلَمُ بِالْوِصَالِ نَعِمْتَ بَالَا (٦
لَيَالِيَ مَا تَزَالُ مِنِ ابْنَةِ عَمْرٍو ... تَرَى فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ خَيَالَا
فَحَقًّا إِنَّ جِيرَتَنَا يَقِينًا ... كَمَا زَعَمُوا يُرِيدُونَ احْتِمَالَا (٧
يُفَجِّعُنِي بِفُرْقَتِهِمْ رِجَالٌ ... أَرَادُوا أَنْ يَزِيدُونِي خَبَالَا
عَرَفْتُ الْبَيْنَ أَيْنَ مَضَى رِعَاهُ ... وَرَدَّ رِعَاءُ جِيرَتِكَ الْجِمَالَا

---

١) احال رسم المنازل تغيّر بعد ذهاب اهله

٢) الاهاضيب حلبات المطر وقد اضافها الى الدُّجى اي الظلمة لان الغيم اذا اتى بالمطر يكون مُظلمًا. ولذلك قال من كل جون اي من كل غيم اسود. وسقاها سجالًا اي بغزارة

٣) ألثَّ المطر دام اياماً لا يُقلع. ويحتفل احتفالًا اي يشتدُّ وقعهُ

٤) الاصوات اصوات سكّانها فلا يكاد يُسمَع صوت في تلك المنازل الخالية. الّا ان تخالَ اي ما لم تمثل وتظن انك تسمع اصواتاً ولا اصوات وذلك لوحشتك وحزنك

٥) نسجُ الريح للتراب هو أن تجمع بعضهُ الى بعض. وهذا التراب ناعم كالطحين المنخول

٦) الزُّوَّر الزائرون يكون للواحد وللجميع وللمذكّر والمؤنث بلفظ واحد. وكتب في الاصل: آلا ماتها الزور

٧) في الامّ: مريدون باهمال الحرف الاول

فَلَمَّا فَارَقُوا مَرَّتْ حُدُوجٌ عَلَى بُزُلٍ تَرَى فِيهَا اعْتِلَالَا (١
إِذَا مَا ضَمَّهَا الْحَادِي بِسَوْقٍ حَثِيثٍ زَادَهَا الْحَادِي اخْتِيَالَا
فَلَيْسَتْ ظَبْيَةٌ غَرَّا ظَلَّتْ بِأَعْلَا تَلْعَةٍ تُرْجِي غَزَالَا
بِأَحْسَنَ مُقْلَةً مِنْهَا وَجِيدًا وَوَجْهًا نَاعِمًا كُبِيَ الْجَمَالَا
جَرَى مِنْهَا السِّوَاكُ عَلَى نَقِيٍّ كَأَنَّ الْبَرْقَ إِذْ ضَحِكَتْ تَلَالَا (٢
كَأَنَّ الْمِسْكَ عُلَّ بِهَا ذَكِيًّا وَرَاحًا خَالَطَ الْعَذْبَ الزُّلَالَا
إِذَا مَا الْقَلْبُ وَالْخَالُ صَافَا جَرَى مِنْهَا وِشَاحَاهَا فَجَالَا
تَضُمُّ ثِيَابُهَا كَشْحًا هَضِيمًا وَأَرْدَافًا إِذَا قَامَتْ ثِقَالَا
إِذَا قَامَتْ تَنُوءُ بِمُرْجَحِنٍّ كَدِعْصِ الرَّمْلِ يَنْهَالُ انْهِيَالَا (٣
إِلَى حَتَّى مَتَى يَا أُمَّ عَمْرٍو دَلَالُكِ طَالَ ذَا صَرْمًا وَطَالَا
عَلَى أَنِّي وَعَيْشِكِ لَسْتُ أَدْرِي أَصَرْمًا كَانَ ذَلِكَ أَمْ دَلَالَا
فَإِنْ يَكُنِ الدَّلَالُ فَأَنْتِ مِنِّي يَمِينٌ لَا أُرِيدُ بِهَا شِمَالَا
أَلَمْ يَكُ حُبُّكُمْ فِي غَيْرِ فُحْشٍ زَمَانًا كَادَ يُورِثُنِي سُلَالَا
سَأَتْرُكُهَا وَآخُذُ فِي ثَنَاءٍ لِقَوْمِي لَسْتُ قَائِلَهُ انْتِحَالَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ عُودِي تَغْلِبِيٌّ نُضَارٌ هَزُّهُ كَرَمٌ فَطَالَا
فَسَلْنِي بِالْكِرَامِ فَإِنَّ قَوْمِي كِرَامٌ لَا أُرِيدُ بِهَا بِدَالَا
وَقَوْمِي تَغْلِبٌ وَأَبُو حَيٍّ بَكْرٌ فَمَنْ هٰذَا يُوَازِنُنَا فِضَالَا

---

١) الحُدُوج جمع حِدج وهو مركبٌ من مراكب النساء غير الهودج والمحفّة. وفي الامّ كتب حَدوج بفتح اوله. وبُزُل جمع بَزول. يقال للبعير اذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفطر نابهُ بازل من البَزْل وهو الشقّ

٢) يعني بريق اسنانها

٣) المرجحنّ الذي يتمر من ثقله والدعص كثيب الرمل

تَصَانَ حَلُومَنَا وَتَرَى عَلَيْنَا ثِيَابَ الْخَزِّ تُبْتَذَلُ ٱبْتِذَالَا
فَكَمْ مِنْ قَائِلٍ قَدْ قَالَ فِينَا فَلَمْ نَتْرُكْ لِذِي قَيْلٍ مَقَالَا (١
فَسَلْ عَنَّا فَإِنْ تَنْظُرْ إِلَيْنَا تَرَى عَدَدًا وَأَحْلَامًا ثِقَالَا
هُمَا ٱبْنَا وَائِلٍ بَحْرَانِ فَاضَا جَرَى بِالنَّاسِ مَوْجُهُمَا فَسَالَا

. . . . . .

أَلَسْنَا نَحْنُ أَقْرَاهُمْ لِضَيْفٍ وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا حِبَالَا
وَأَجْبَرَهُمْ لِمُخْتَبِطٍ فَقِيرٍ بِخَيْرٍ حِينَ قَرَّبَ ثُمَّ نَالَا (٢
كِرَامُ الزَّنْدِ لَا نُعْطِي قَلِيلًا وَلَا نَنْبُوا لِسَائِلِنَا ٱعْتِلَالَا
سَلِ الضَّيْفَانَ لَيْلَةَ كُلِّ رِيحٍ تَلُفُّ الْبَرْكَ عَازِمَةً شَمَالَا (٣
أَلَسْنَا بِالْقِرَى نَمْشِي إِلَيْهِمْ سِرَاعًا قَبْلَ أَنْ يَضَعُوا الرِّحَالَا
فَمَا نَجْفُوا الضِّيَافَةَ إِنْ أَقَامُوا وَلَا الْجِيرَانَ إِنْ كَرِهُوا زَوَالَا
وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَنُتْبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَالَا (٤
لَعَمْرُكَ مَا يَبِيتُ الْجَارُ فِينَا عَلَى وَجَلٍ يُحَاذِرُ أَنْ يُنَالَا
فَقُلْ لِلنَّاسِ إِنْ هُمْ فَاضَلُونَا يَعُدُّوا مِثْلَهُنَّ لَهُمْ جُلَالَا (٥

---

١) القَيْل الملك . والمراد انّنا اكثرنا اعاظم الرجال الذين لهم ملوك اتباع

٢) المختبط طالب المعروف ٣) البَرْك الإبل البُرُوك اسم لجماعها وتلفُّ تجمعُ

٤) روي هذا البيت لمُسهر بن كرب الثعلبي (في بدية الثابلي ٢٦٦). ولسمير بن كرم الثعلبي (في كتاب حسن التوسل الى صناعة الترسل ٥٩ وفي خزانة الادب لابن حجّة الحمويّ ٢٧٩). ولسمير بن كرم الثعلبي (في بدية الشيخ قاسم البكرجي ١٨٨). ولسمير بن الاجم (في نسخة خطية من كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري محفوظة في خزانة كتبنا الشرقية في الوجه الثاني من الورقة ١٢٨). فتأمل

٥) الجُلال بالضم العظيم والجُلالة الناقة العظيمة

فان تكن الايام فينا تبدلت بنا بؤسا
الم تر حكمي في غير فخر ومأثرتي تسلا
ستتركها واخذني ثناء لقومي ليست قابله انخلا
الم تر ان عودي يعطي ثناء هزة كرم وطابا
فسلني بالكرام فاني قومي كرام لا ازيدها بدا
وقومي تغلب وابي بكر فمن هذا يوازنها فضا
نضا نخلوفنا وترى علينا ثناء الخز بتذل ابدا
فكم من قائل قد قال فينا فلم نترك لذي قيل مقالا
فسل عنا فان نطق الاسارى عددا واطلاقها
هما انا وابن بجران فاصغى بالباس موجها فينا
فمن يعدل بنا الا قريش السنا خير من وطى النعالا
السنا نحن اقراهم لضيف واوفاهم اذا عقدوا حبالا
واجرهم لجار فقر لخير حين فوق ترى ثمالا
كرام الزند لا يعطى قليلا ولا ينوي السبيل اعتلالا
سل الضيفان ليلة كل ريح بلغ النزل عارمة سمالا
السنا ما ترى شيئا لهم سراعا فلا ان يصعدوا الرحالا
فما يخفون الضيافة اذا قاموا ولا الجار اذا كرهوا زوالا
وبكر جار نا ما دام فينا ويتبعه الكرامة حيثما الا

لعمرك ما بنت الجاد قينا على وحل لجاذر أن يقالا
فقل للناس أن هم فاضلونا بعدوا أو مثلهم لم حلا لا
السنا من دمشق الى عمان ملأنا البر اجيانا خلا لا
ودجله والفرات وكل واد الى الارجاء طا النعم اجالا
وسل زفا المدائن في جنود لنا منهم اكثر فارجالا
الا ان ايجبوه لنا ذريها وصولتها اذا ما العز صالا
وحر الموقدون بكل نعم ضرام الحرب يشعل اشتعالا
اذا ما الخيل ضيعها رجال ربطنا ما فشا ركنا العيالا
نقاسمها المعيشة اذ شتونا ونكسوها النرافع والجلالا
تعون الخيل ما دمنا جهوزا ونجدوهن في السفر النعالا
ونعهن في العمارات حتى تعود الخيل صاحبه مذالا
وكل طمرة جرداء تردى ترى الاضلاع مادية هزالا
اصابت من غزاه القوم جهدا نعرق من جزارتها الجالا
اذا ملت فوارسنا وكلت عناق الخيل دمانا كلالا
جنابينا العقاق لها صهيل يبدد نا نعارض البغالا
اذا نادى منادينا ركبنا الى الداعي فطرنا عجالا
فهن الى الصباح محللات نا نعرف لمعانا برسلا
عوابس ما لقين سوى اثرات ترى الابطال يعثون انهالا

أَلَسْنَا بِنْ دِمَشْقَ إِلَى عُمَانٍ مَلَأْنَا ٱلْبَرَّ أَحْيَاءً حِلَالَا (١

. . . . . .

وَشَارَفْنَا ٱلْمَدَائِنَ فِي جُنُودٍ لَنَا مِنْهُنَّ أَكْثَرُهَا رِجَالَا
أَلَا إِنَّ ٱلْخَيْـوَةَ لِنَاذِرِيهَا وَصَوْلَتُهَا إِذَا مَا ٱلْعِزُّ صَالَا (٢
وَنَحْنُ ٱلْمُوقِدُونَ بِكُلِّ ثَغْرٍ ضِرَامَ ٱلْحَرْبِ تَشْتَعِلُ ٱشْتِعَالَا
إِذَا مَا ٱلْخَيْلُ ضَيَّعَهَا رِجَالٌ رَبَطْنَاهَا فَشَارَكَتِ ٱلْعِيَالَا
نُقَاسِمُهَا ٱلْمَعِيشَةَ إِذْ شَتَوْنَا وَنَكْسُوهَا ٱلْبَرَاقِعَ وَٱلْجِلَالَا
نَصُونُ ٱلْخَيْلَ مَا دُمْنَا حُضُورًا وَنَحْذُوهُنَّ فِي ٱلسَّفَرِ ٱلنِّعَالَا
وَنَبْعَثُهُنَّ فِي ٱلْغَارَاتِ حَتَّى يَقُودُ ٱلْفَحْلَ صَاحِبُهُ مُذَالَا (٣
وَكُلَّ طِمِرَّةٍ جَرْدَاءَ تَرْدِي تَرَى ٱلْأَضْلَاعَ بَادِيَةً هُزَالَا (٤
أَصَابَتْ مِنْ غُزَاةِ ٱلْقَوْمِ جَهْدًا يُعَرِّقُ مِنْ جُزَارَتِهَا ٱلْمَحَالَا (٥
إِذَا مَلَّتْ فَوَارِسُنَا وَكَلَّتْ عِتَاقُ ٱلْخَيْلِ زِدْنَاهَا كَلَالَا
جَنَائِبُنَا ٱلْعِتَاقُ لَهَا صَهِيلٌ بِأَيْدِينَا يُعَارِضْنَ ٱلْعِقَالَا (٦

---

١) حيّ حِلّة وحيّ حِلال اي نزول وفيهم كثرة. وكان الناسخ كتب احياناً فرسم على هامش الصفحة احياء حِلالا

٢) اي تحق الحياة للذين يجودون بها. وتظهر بسالتهم عند اشتداد الامور

٣) اذال فرسهُ وغلامهُ اذا اهانه . . . اذالةُ الخَيْل وهو امتهاضها بالعمل والحمل عليها (اللسان ١٣ : ٢٧٧)

٤) الطمِرّة الفرس الجواد. واجرد قصير الشعر رقيقهُ

٥) الجزارة اليدان والرجلان والعنق لانها لا تدخل في المِيسر وانما ياخذها الجزّار. واراد بها هنا الفرس برمتها. والمَحَال جمع المحالة وهي القِدرة من فقار البعير

٦) الجنائب جمع الجنيبة وهي الفرس تُقاد. وكانوا يركبون الابل ويقودون الخيل. فاذا بلغوا ساحة القتال ركبوا الخيل للغارة

إِذَا نَادَى مُنَادِينَا رَكِبْنَا إِلَى ٱلدَّاعِي فَطِرْنَ بِنَا عِجَالَا
فَهُنَّ إِلَى ٱلصَّبَاحِ مُجَلِّحَاتٌ بِنَا يَمِنٌ إِمْعَانًا رِسَالَا (١
عَوَابِسُ بِٱلْقَنَى مُتَوَاتِرَاتٌ تَرَى ٱلْأَبْطَالَ يَعْلُونَ ٱلنِّهَالَا (٢
بِهَا نِلْنَا غَرَائِبَ مِنْ سِوَانَا وَأَحْرَزْنَا ٱلْقَرَائِبَ أَنْ تُنَالَا
إِذَا شِئْنَا وَنَاشَبَنَا أُنَاسٌ وُجِدْنَا مِنْ كِرَامِ ٱلنَّاسِ حَالَا (٣
وَمَا تَحْتَ ٱلسَّمَاءِ لَنَا ٱبْنُ أُخْتٍ يُرَدِّفُهُ عَلَيْهَا ٱلْقِدْحُ جَالَا (٤
وَمِنْ كُلِّ ٱلْقَبَائِلِ قَدْ سَبَيْنَا مِنَ ٱلْبِيضِ ٱلْمُخَدَّرَةِ ٱلْحِجَالَا
تَنَاضَلْنَا وَحَلَّ ٱلنَّاسُ عَنَّا فَمَا قَامَتْ لَنَا قَيْسٌ نِضَالَا (٥
وَلَمْ تَسْلَمْ بَنُوا أَسَدٍ فَتَنْجُوا وَمَنْ هٰذَا نَجَا مِنَّا فَوَالَا (٦

اكتشافات حديثة عن طبيعة المادّة وتركيبها

نبذة للاب بطرس دي ڤراجيل اليسوعيّ مدرّس الطبيعيّات في مكتبنا الطبيّ

انّ العقل البشريّ اذا حاول درس احوال الطبيعة لا يزال يكدّ ويجدّ ربما يقف على اقصى خفايا اسرارها واذا قامت في وجهه العوائق ضاعف جهده كأنّ العقبات لا تريده

١) التجليح السَّير الشديد وأمعن الفرسُ تباعدَ في عَدْوِه . والرسال جمع رَسْلة وهي الناقة السهلة السير

٢) متواترات مُتتابعة

٣) وفي الام بعد هذا البيت ٥ ويروى نشنا وناشَبْنا م من المناوشة في القتال

٤) اي لا نُسبي نساؤنا ولا يُقترع عليها ليُعرف لِمَن تكون

٥) في الاصل نُضالا بضمّ اوله

٦) رسم بنوا بدل بَنُو و فتنجوا عوض فتنجو . ومعنى عجز البيت : ومَن الذي ينجو منّا فيوالي غيرنا . واعلم ان القصيدة أُرسلت لنا مرسومة بتصوير النور ما عدا هذه الستّة الابيات الاخيرة فانها سطرت بقلم العلّامة غر يغيني

الا نشاطاً في طلب ضالته . وما تقوله اجمالاً في اسرار الطبيعة هو اصدق واحق في درس المادة الهيولية وخواصها ومركباتها وتحوّل جواهرها من عنصر الى آخر . فانّ الفلاسفة والطبيعيين قد تزلوا في هذا الميدان وتجاروا كخيل رهان في تعريف المادة وبيان مزاياها الاصلية وذلك منذ عهد فلاسفة اليونان كابيقورس وغيره . نعم ان بعض هؤلاء الحكماء كانوا يطلبون من هذه المباحث منافع مادّية وارباحاً زمنيّة كما فعل آل الكيميا القديمة واصحاب الاكسير رجاء ان يبدلوا النحاس ذهباً . وهو مبحث كان يُعَدّ سابقاً ضرباً من المحال ولم يَعُد العلماء المحدثون يستبعدونهُ . وانما الغاية القصوى التي يتوخاها اهل النظر من هذه الابحاث هي اجلّ واسمى يريدون الاطلاع على دفائن مطمورة خابت آمال اسلافهم عن جمع كنوزها . وزاد نشاطهم في البحث عن هذه المطالب الشريفة منذ ظهرت لهم مجاهل الكهربا . ووقفوا على اسرار الاشعّة الخفيّة التي سبق لنا وصفها في الاعداد الاخيرة من المشرق (ص ٣٠٣ و ٣٧٩) . واليوم اذا تصفّحتَ مقالةً في هذه الامور وجدتها مشحونةً بالفاظ اضطُررنا الى نقلها الى العربيّة بحرفها او بمعناها منها الالكترون والأيون والإشعاعات والأثير التي بيّنّا معانيها

لكنّ مقالتنا الاخيرة عن الاشعّة الحديثة تحدو بنا تتمّةً للفائدة ان نعود الى البحث عن المادّة وعن آراء المحدثين في تركيبها والعلاقة بينها وبين هذه الاشعّة المكتشفة حديثاً

﴿ ١ المادّة ﴾ اوّل خاصّة كان الطبيعيون والفلاسفة يثبتونها للمادة هي السكون بحيث لا يمكن الجسم ان يتحرّك من تلقاء ذاته واذا حُرّك لم يمكنهُ تغيير حركته . والعلماء المحدثون لم يعودوا يعتبرون السكون كاحدى الخواصّ اللازمة الاجساد . فانهم لمّا جعلوا تركيب المادّة من مجموع الالكترون او الكُهَيْرَبات والأيون قد تبادر الى ذهن كثيرين ان هذا المجموع ليس هو ساكناً كما زعموا بل انّ سكونهُ ظاهر فقط وهو ينتج من حركات هذه الكُهَيْرَبات والأيون . ومن ثمّ انّ سكون الاجسام لا يلزم المادّة (راجع مقالتنا في ترقي العلوم الستة المنصرمة ص ٢١—٢٤)

كذلك كان الطبيعيّون يقسمون الاجساد الى بسيطة ومتركبة فيجعلون عناصر الاجسام البسيطة ثابتةً لا يمكن تحويلها . ولكن اخذ العلماء يشكّون في صحّة هذا القول لانهُ اذا حللنا الدقائق المادّية متركبة من الأيون والكُهَيْرَبات يمكن القول بانّ الاجسام

كلها لا يختلف بعضها عن البعض الا بوضع هذه الحويصلات المادية ونوع تركيبها. فيكون الفارق بين دقيقة من ذهب ودقيقة من فضة اختلاف النظام في تركيب عناصرهما الاولية من الايون والالكترون. واذا اتصل الطبيعيون يوماً الى تركيب هذه الاسطقسات على نظام بالكم والكيف صارت دقائق العناصر في قبضة الانسان وامكنه ان يحول عنصراً الى آخر. نعم ان هذا الامر انما هو حدس لم تصححه الاختبارات حتى الآن. ولكن العلوم الكيموية الطبيعية لا تزال في ترقٍ متواصل. وما كان يُعدّ امس غير ممكن اضحى اليوم امراً مقرراً. ولو سبق احد الآدميين قبل خمسين سنة وتنبأ باكتشاف اجسام غريبة كالراديوم وغيرها لعُدّ من المختلين في شعورهم. ألا ترى الراديوم نفسهُ الذي كان قبل اشهر قليلة معدوداً في جملة العناصر البسيطة قد تعدّدت فيه الاختبارات الدقيقة وبان لكثيرين من العلماء انهُ في بعض الاحوال يتحلل الى غاز كان معروفاً منذ بضع سنين وهو الهيليوم. وعليهِ فانَّ تحويل دقائق جسم بسيط من حالة الى أخرى ليس بامر مستحيل

ثم انّا اذا اعتبرنا هذا الراديوم وبحثنا عن مصدر قوّتهِ العجيبة تواترت المشاكل علينا فلا نعرف أتكون هذه القوّة في نفسهِ كعنصر غير ثابت في حالة التركيب والتغيير تكون شدّة فعلهِ كنتيجة هذه التقلّبات الى عناصر جديدة او تكون اشعّتهُ الغريبة تأتيهِ من الخارج فتنفذ في الفضاء الى ان يتصدّاها الراديوم ويحوّلها الى قوّة مشعّة فعّالة. وكلُّ هذه الابحاث من شأنها ان تفتح مجالاً واسعاً للفلاسفة لتعريف طبيعة الاجسام وتركيبها. وليس كلامنا هنا عن الفلاسفة الأقدمين كارسطو وتبعتهِ فانهم مع قلّة وسائلهم لدرس قوّات الطبيعة كانوا استدلّوا بحُسن نظرهم على كنه عناصرها الاوّليّة فجعلوا تركيبها من قوّتين الكم والكيف ألحقوا بالكم مساواة الكميّة واختلافها والزيادة والنقصان الخ. وألحقوا بالكيف الحركة والتحويل. ثم جاء من بعدهِ فلاسفة الاعصار المتوسّطة فارادوا ان يفسّروا كل مظاهر الطبيعة بالكيفيّات وحدها الى ان قام باكون فقاوم هذه المزاعم وبنى غليلاي ابحاثهُ على درس الطبيعة بالاختبارات فنبذ الكيفيّات نظريًا ونبذها من بعدهِ فعلاً الفيلسوف ديكرت فجعل يفسر كل ظواهر الطبيعة بحركة المادّة. اما ليبنيس الشهير فانهُ مع تسليمهِ بوجود الكميّات زعم ان مرجع هذه الكميّات الى كيفيّة واحدة وهي القوّة. ومشى نيوتن على آثارهِ وجعل

هذه القوة في جاذبيَّة المادة التي تجري بين الاجسام بعضها في بعض وكذلك بين الدقائق. ثم عاد فلاسفة القرن التاسع عشر كمكسويل ولوج ولورد كلفين الى قول ديكرت فشرحوا المظاهر الطبيعية بحركات دوريَّة (vortex). واليوم يقول العلماء بقول ارسطو في الكميَّات ويصوِّبون رأيه ويُعجبون بدقَّة نظره منهم پوانكاري (Poincaré) ورانكين (Rankine) وغيرهما فانهم درسوا بالامتحان المادَّة والتحوُّلات التي تطرأ عليها. وهذه التحوُّلات سوف تظهر بطريقة اجلى واوضح على قدر ما تلوح لنا مناحيها في المستقبل

﴿ ٢ الاشعَّة ﴾ وقد جاءت الاشعَّة الحديثة لاسيَّما التي اكتشفها الدكتور بلوندل ووصفناها في مقالتنا الاخيرة مثبتةً لهذا النظر في تركيب الاجسام ومهدةً الطريق لاكتشافات مهمَّة. قد رأينا انهُ اذا جُعل بازاء الانسان عن بُعد حاجزٌ مطليٌّ بسولفور الباريوم مثلاً زادت قوَّتهُ الفسفوريَّة كأنما صدر من الانسان عملٌ من الفكر او الارادة. فان كان الفكر يؤثر بقوَّة هذه الاشعَّة في احد مظاهر الطبيعة الكيموية أفيُنكَر انهُ قادرٌ ايضاً على التأثير في احد مظاهر النفس الطبيعيَّة. فكما انَّ هذه الاشعَّة تصدر من الاجهزة العصبيَّة والعضلات فكذلك يمكنها ان تؤثر في اجهزة عصبيَّة أخرى وعضلات مثلها. ومن ثم ليس بمستحيل انَّ ارادتي تعمل في ارادة غيري عن بُعد ويعمل فكري في فكره. والاختبارات التي اجراها مؤخَّراً بعض ارباب العلم تؤيِّد هذا الرأي وتبيِّن انهُ يمكن بواسطة هذه الاشعَّة ان يستهوي شخصٌ شخصاً آخر مثلهُ عن بُعد وانَّ اموراً عديدة لم يدرك الناس اسرارها من قبل اضحت اليوم قريبة الفهم. مثال ذلك توافُق الافكار بين رجلين بعيدين في وقت واحد وشعور العيون عن بُعد بما يتوارد الى فكر الاشخاص وغير ذلك

ومنَّن بحثوا في هذا الامر وكرَّروا فيهِ الاختبارات المتعدِّدة الكولونل الفرنسويّ البرت دي روشاس (A. de Rochas) من علماء الكاثوليك المبرَّزين. فانهُ يذهب الى انَّ المرء يمكنهُ ان يبلِّغ افكارهُ الى غيرهِ عن بُعد. وان الفكر يتَّصل بين الرجلين على صورة اهتزازات تصدرُ من دماغ فاعل الى دماغ مفعول كما تتَّصل اهتزازات التلغراف الاثيري من باعث الى قابل مادَّة بالهواء على شكل التموُّجات

وقد اعترض عليهِ بعض الفلاسفة بقولهم انَّ الفكر مجرَّد عن الهيولي فلا يمكنهُ أن

يؤثر في المادة. لكنَّ المسيو دي روشاس يجيب على هذا الاعتراض بقوله انهُ لا ينكر كون الفكر البشريّ هو مجرَّد عن المادة لكنَّ العقل البشريّ غير الهيولي لا يصدر الى الفعل الَّا بواسطة الدماغ الهيولي فيلبس بذلك صورةً هيولية

ألا ترى ان الانسان اذا اراد الفكر والنطق اخرج اوَّلًا فكرهُ في باطنهِ على صورة هيولية فهذا النطق الداخلي يؤثر في اعصاب جهاز النطق وعضلاته فتحدث بذلك عدَّة انقباضات وتشنُّجات تسبب حركات النطق المسموع. فما ترى المانع من ان يكون لهذه التشنُّجات الباطنة بدلًا من النطق المحسوس تأثير آخر فتُصدر اشعَّة غير منظورة تبعثها الى البُعد. وبيانًا لهذا الرأي قد اختبر المسيو دي روشاس عمل تشنُّجات اخرى في اجسام بعيدة

فانهُ اقام شخصًا على مسافة ١١٠٠ متر منهُ وامرهُ بان يمسك سلك السكة الحديديَّة بيدهِ امَّا هو ففي ساعة مجهولة من الشخص كان يمسّ بعصاهُ السلك عينهُ على البُعد المذكور. فكان الشخص يحسّ عند مسيسهِ برجفة ألم رغمًا عن البُعد. وكذلك اختبر الامر في نهر على بُعد ٤٠٠ متر. فانهُ حالما كان يغمس رأس عصاهُ في النهر بعزم من ارادتهِ كان شخص آخر غامسًا عصاهُ قبلًا على هذه المسافة يحسّ برجفة قويَّة

وكذلك مدَّ سلكًا من الحديد على طول ٢٠٠ متر فجعل رجلًا على احد طرفيهِ باسطًا يدهُ الى السلك على بعد عشرة سنتيمترات فكان هو اذا مدَّ يدهُ الى السلك على المسافة نفسها يُشعر الرجلَ ما شاء من التشنُّجات. وهذه الاشعَّة المنبعثة من الجسم لا تنفذ في صحيفة رقيقة من النحاس وفي ورقة مبلولة بل تنعكس كالنور

وقد اختبر ايضًا اشعَّة الاصابع فانَّهُ كان يوجّه الى شخص اصابعهُ على خطّ مستقيم فاذا نثر الهواء امامهُ اشعرهُ بهزَّة في جسمهِ في الجهة الموازية لاصابعهِ. وكذا الاشعَّة الخارجة من العينين فانَّهُ كان اذا حدج بنظرهِ الى نقطةٍ معلومة من جسم المفعول بهِ احسَّ هذا بوخزةٍ فيها

قال المسيو دي روشاس: «انَّ بيان مفعول هذه الاشعَّة البصريَّة يعلِّل بعض الظواهر التي يتناقلها القوم عن اصابة العين. وكذلك يفسّر كيف انَّ النظر يؤثر مرارًا في هزَّات رقَّاص الساعة ويطَّلع على مكنون اسرار الشخص فانَّ بصرَ الشخصين

هو كسلكين يجمعان بين دماغيهما (١).

لعلّ القرّاء يتعجّبون من هذه الامور ويرون أنّا في ذلك نتعدّى اطوار الطبيعة. كلّا فانّا نعلم انّ للطبيعة حدوداً لا تتجاوزها لكنّنا لا ننكر ايضاً ان للطبيعة قوًى خفيّة يطّلع عليها العلماء يوماً بعد يوم فالعاقل هو الذي يرصد هذه ويفرز ما هو من اطوارها وما يخرج عن هذه الاطوار فلا يقوم به الّا ما كان فوق الطبيعة كالارواح غير المنظورة او سبحانهُ تعالى عزّ وجلّ كما ترى في المعجزات من بعث ميت او شفاء اعمى وغير ذلك ممّا لا تقوى عليه الطبيعة مهما ترقّت

المخطوطات العربيّة في خزانة كليّتنا الشرقيّة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٤ المجموعات والمجامع (تتمّة)

(العدد ٣٦) مجموع مجلّد بجلد كامل شرقي عتيق طولهُ ٢١ س وعرضهُ ١٥ س صفحاته ٥٨٠ مكتوب بالكرشوني بخطين لسود فاحم وفي كل صفحة ١٨ سطراً الّا قسماً منهُ. هذا المجموع يحتوي على عدّة تآليف دينيّة في الكنيسة وراسها الحبر الاعظم ثم في شرح المناقضات الظاهرة الموجودة في الاناجيل الاربعة الطاهرة (ص ١—٢٢٣) ومن الصفحة ٢١٧ الى ٤٢٩ كتاب في تثبيت الكتب المقدّسة وسلامتها من التحريف في عشرين فصلاً ثم معجم للالفاظ السريانية مع شرحها بالعربيّة (ص ٤٣٠—٥٨٠)، وهذه التآليف سنعود الى وصفها في مظانّها. وانّما ذكرناها هنا لتأليف ورد فيها من الصفحة ٢٢٣ الى ٣١١ يحتوي ذكر المجامع العمومية مباشرةً بجمع نيقية الى المجمع التريدنتيني مع مقدّمة في المجمع وسلطته وراسهِ الحبر الرومانيّ. وهو مختصر حسن. ومؤلف هذا المجموع الّا المعجم السريانيّ الذي في آخرهِ مذكورٌ في صدر الكتاب هو المطران بطرس ابن مخلوف الموسطانيّ جمعهُ من كتب البيعة المقدّسة حين كان في رومية العظمى يومي طاعة بقنوم الآب الجليل البطريرك جرجس السبعلاني لقدس اب الآباء المالك

(١) راجع مجلّة الكسموس (Cosmos, nº 999 et 1004).

سعيدًا الكرسي الرسولي البابا اقليموس التاسع ». اما تاريخ الكتاب وناسخهُ فقد تكرَّر ذكرهما في آخر كل تأليف وهو « سليمان بالاسم قسّ راهب من قرية مشمش بلد جُبيل من رهبان دير طاميش الكائن فوق زوق الخراب بايام الابيات المكرّمين المطران جبرائيل الذي انشا هـذا الدير المذكور والمطران ميخائيل المجاهد المهتمّ معهُ بذلك في سنة ١٦٩٧ » وفي آخر الكتاب: « انهُ يخصّ رهبانَ مار شعيا الانطونيانيين » بيع في بيروت سنة ١٨٨٥

(العدد ٣٧) كتاب حديث الخطّ والتجليـد طولهُ ٢٠ س وعرضهُ ١٣ س وصفحاته ٢٦١ ولكل صفحة ١٧ سطرًا كُتب سنة ١٨٩٥ عن نسخة تتفضَّل سيادة المطران جرمانوس معقـد الجزيل الاحترام واعارنا اياها. وهو يتضمَّن اعمال المجمـع الاورشليمي الذي جمعهُ السيد البطريرك كيريوس كيريوس مكسيموس مظلوم في القدس الشريف في أيار سنة ١٨٤٩ وبحث فيهِ مع السادة الاساقفة عن كل امور طائفتـهِ وشؤونها الدينيَّة والادبيَّة. لكنَّ اعمال هذا المجمع لم تثبت من رومية

٥ اعمال الآباء

قد انتهينا من ذكر مخطوطات مكتبتنا في المجامع والسينودسات وفي هذا الباب المقدس نصف ما في خزانة كتبنا من أعمال الآباء الابجَّاد مثبتين في ذلك القرون التي عاشوا فيها

(العدد ٣٨) كتاب مجلَّد تجليـدًا حديثًا بجلد وقماش اسودين في مطبعتنا طولهُ ٢٢ س في عرض ١٦ س صفحاته ٣٩٢ ذات ١٧ سطرًا كُتب بحرف جلي اسود الّا الفصول منهُ فانها مكتوبة بحبر احمر. وفي الصفحة الاولى منهُ « انَّ هذا من كتب القسّ باسيليوس جبله اشتراهُ من دمشق بخمسة عشر غرشًا سنة ١٧٧٤ وقف دير الخلاص قرب صيدا ». وانهُ « من تركة نعمة الله هدايا اليوشعي ». بيع في بيروت سنة ١٨٩٤. اما محتواهُ فانهُ يشتمل على اربعـة كُتب منسوبة للقديس اثناسيوس. اولها (ص ١–٢٧٣): « كتاب البرهان في تحقيق الايمان مما وضعهُ ابينا (كذا) الجليـل في القديسين الاب الكبير اثناسيوس الرسولي بطريرك الاسكندريَّة الذي وضعـهُ على انَّ للخلق الهٌ (كذا) واحد لا اله الّا هو وثلثة اقانيم وتجسُّد الكلمة ومواهبه الشريفة للمؤمنين » هذا اولهُ:

« اما بعد من يعلم كتب الله في العهد العتيق والحديث فليس يشك في الله ولا كثيرٌ في الحنفاء ايضاً لان طبيعة الله في الطبيعة مغروسة ولكن من اجل انهُ بلغ من قوَّت (كذا) شرّ الخبث على طبيعة الانسان ان اوقعت اناس كثيرة في هوّة الهلاك واشرّ الشرّ كلهُ انهم قالوا ليس الاه وهم الذين ذكر داود النبي حقهم في الزبور . . . »

وهو سفرٌ جليل واسع عن التوحيد والتثليث يبدو أننا لم نجدهُ بين اعمال القديس اثناسيوس . وقد اطلع ابراهيم الحاقلاني الشهير على نسخة منهُ في رومية (راجع المشرق ٥ : ٤٨١) نُسب فيها للقديس بطرس اخي القديسين باسيليوس وغريغوريوس نيصص . وفي نسختنا الشهادات التي قابلها حضرة الاب الخوري يوحنا مرتا عن الزيارات القديمة في فلسطين ونشرها في المشرق (٥ : ٤٨٣ — ٤٨٨) وهي في نسختنا اوسع واكمل مع ذكر كل سرّ جرى في تلك الزيارات على هذا المثال (ص ٢٠٢) :

« وتشهد كنيسة الناصرة من جليل الاردن بشراء (كذا) جبرائيل رئيس الملائكة لمريم بالحبل بالمسيح اذ قال لها افرحي يا ممتلئة نعمة . مريم الرب معك قد وجدت نعمة عند الله وها انك تحبلين الخ »

وفي نسختنا اسماء مزارات غير المذكورة مثل كنيسة قانا الجليل وكنيسة صور وكنيسة اريحا بالغور وكنيسة طور الزيتون « الذي كان المسيح ربنا يعلم تلاميذه فيها » وكنيسة سيارحان اي سلوان وكنيسة القيامة في ايليا وكنيسة عمواص « من كورة فلسطين على طريق ايليا » (تشهد) بان المسيح سيّر رجلين من تلاميذهِ السبعين . . . احدهما كلاوباس والآخر لوقاس الخ » وكنيسة على بحيرة طبريّة يقال لها موضع الخمر تشهد « بان المسيح ظهر لتلاميذهِ كلهم هناك من بعد قيامتهِ من الموتى الخ » و « كنيسة طور الزيتون التي على راس الجبل ومنها صعد الى الآب » و « كنيسة الغرفة المقدّسة التي حلّ فيها الروح القدس على التلاميذ » . ومن غريب ما جاء في نسختنا (ص ٢١١) « عن الكنيسة التي يقال لها موضع الغنم في ايليا » قال :

« وتشهد تلك الكنيسة ايضاً انّ مولد مريم امّ سيدنا يسوع المسيح كان فيها من يواكيم ابيها ابن بكير من بني داود . . . ومن حنّة امها من بنات هارون . . . وان حنّة كانت عاقر (كذا) لا تلد فدعت الى الله ودعا يواكيم زوجها معها ان يرزقهما الله ولداً واندرا (كذا) اصبا يقرّبا ولدها الذي يطيبها اياهُ قرباناً لهُ في بيت المقدس فوهب الله لهما مريم فلم يدّعاها تمشي على الارض حتّى ادخلاها هيكل الله هديّة لهُ وكفلها زخريا ابو يوحنا المعمداني (كذا) وربّاها في قدس القدس الداخل وتناولت الطعام من يد الملك . . . »

وقال عن كنيسة الجسمانية (ص ٢٣٤) :

« وتشهد الكنيسة التي في الوادي الذي بين طور الزيتون وبين بيت المقدس بانّ سيدنا المسيح جمع جميع الحواريين من اقطار الارض بقدرته فحملتهم السحب الى صهيون في ايلياء حيث تنيّحت امّهُ مريم العذرى (كذا) ليحضروا نياحتها وجنازتها ويقبروا جسدها الطاهر المقدّس فلم يبقَ منهم الّا من حضر من ساعته الى صهيون غير توماس الذي كان في الهند فانّ السيد المسيح اخّرهُ لمّا ارادهُ من اظهار رفع جسد مريم المباركة من قبرها . (ثم يلي قولهُ تفصيل نياحة العذراء ودفنها وانتقال جسدها الى السماء وتحقّق الرسل للامر بعد فتح التابوت ليُروا جسد البتول فلما بعد حضوره لم يجدوهُ فارغًا . ثمّ يقول) : ثمّ ان ملوك النصارى من بعد زمن طويل بنوا كنيسة لمريم القديسة في مدينة القسطنطينية عظيمة جدًا رفيعة شريفة وارسلوا يحملوا (كذا) ذلك التابوت بما فيهِ من الاكفان ووضعوهُ فيها وبنى القبر المنقور في الصخرة الذي كان فيهِ التابوت في كنيسة الجسمانية . . . »

فترى من هذه النصوص انّ كتاب البرهان ليس هو للقديس اثناسيوس ولا للقديس بطرس اخي القديسين باسيليوس وغريغوريوس النيصصي وانّما هو احدث عهدًا ولعلّهُ لا يرقى ما وراء القرن التاسع او العاشر . وهو مع ذلك سفر نفيس يتضمّن التعاليم الصادقة المدقّقة عن وحدانية الله واقانيمهِ الثلثة — وكذلك المقالات الثلاث التي بعدهُ ليست هي للقديس اثناسيوس كما جاء في اوّلها ولا يمكننا تعريف صاحبها والظاهر انّ مؤلفها هو مؤلف صاحب كتاب البرهان عينهُ . والمقالة الثانية (ص ٢٧٤ — ٣٤٩) تحتوي « القياسات والشهادات في تجسّد ابن الله المحيي » . اوّلها :

قد كنّا ذكرنا فيما رضناهُ في كتاب البرهان على المسيح ان امورهُ جميعها وافعالهُ شهادات ثابتة في الكتب المقدسة الصحيحة . . . وانّا نضعها في كتابنا هذا . . . وقد حان الآن ان نفصل ذلك (ثم يلخص كتاب البرهان ويأتي بالشهادات كما قال)

والمقالة الثالثة (ص ٣٤٩ — ٣٦٤) تحتوي ردًا على اليهود بشهادات الكتاب منسوبًا الى القديس اثناسيوس . والمقالة الرابعة (ص ٣٦٥ — ٣٩٢) مضمونها الشهادات على انّ المسيح هو ابن الله الازلي . . . وعلى صحّة تجسّدهِ . وفي الصفحة الاخيرة تاريخ نسخ الكتاب وانّهُ نجز

. . . » في عشر الارباء خامس والعشرون (كذا) من شهر كانون الثاني المبارك من شهور سنة ٧١٨٩ لكون العالم الموافق لاواخر شهر محرّم سنة ١٠٩٣ للهجرة (١٦٨١م) يد العبد الفقير الحوري يوحنّا بن الحوري يعقوب بن الحوري كاتب احد خدّام كنيسة دمشق . . . (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Marucchi: Le Forum romain d'après les dernières découvertes, *avec plans et illustrations dans le texte*. Paris, Desclée, Lefebvre et Cie, 1903, p. 398

ساحة الفوروم في رومية

ليس في تاريخ قدماء الرومان شيء اشهر من ذكر ساحة الفوروم فانَّ كل الامور السياسية كانت تجري فيها على منظر ومسمع من الشعب فتقوم مقام ندوة العموم ومجلس الأمة. ومن هذه الساحة كانت تصدر الاوامر لكل الاقاليم حتى اقصى حدود العالم الروماني. الَّا انَّ صروف الدهر كانت توالت على هذا المكان فابادت آثاره وطمست معالمهُ حتى صار سوقًا للبقر. لكنَّ الحفريات التي جرت منذ بضع سنوات قد استخرجت الى النور هذه الدفائن المطمورة التي تنطق بلسان حالها عن تاريخ رومية العظمى لاسيَّما على عهد القياصرة وفي ايام الملوك المتنصرين. والاستاذ ماروكي الأثري الشهير الذي اثنينا سابقًا على همَّتهِ قد سطَّر تاريخ الفوروم ووصف كل آثاره المكتشفة حديثًا بل اعاد رسمهُ كما كان في سالف الازمان. وقد اتبع هذه الاوصاف الجليلة بذكر آثار أُخرى وجدت على جبل پالاتين وفي الشارع الملكي اللاحق به حيث كانت افخم مباني القياصرة وقصور اعيان رومية وهياكل تلك الحاضرة الشهيرة. وقد وُجدت هناك ايضًا منذ عهد البابا پيوس التاسع الى أيامنا آثار نصرانية كمعابد وكنائس قديمة منها كنيسة بُنيت على ذكر القديس تاودوروس شهيد الوثنيين في طرابلس الشام وكنيسة العظيمين سرجيوس وباخوس الشرقيين. وفي هذا شاهد ناطق على ما كانت من العلاقات بين كنائس الغرب وكنائس الشرق من الوداد ووحدة الايمان. فنشكر السيو ماروكي على انَّهُ احيا لنا هذه الرسوم المثبتة بمفاخر اوطاننا ونحضُّ الشرقيين على مطالعة سفرهِ النفيس

الاب ل. جلابرت

Die Stellung der Geographie z. d. historisch. Wissenschaften par. E. Oberhummer. *Wien* 1904, pp. 31

مقام الجغرافية بازاء العلوم التاريخيَّة

كان درس الجغرافية سابقًا عبارة عن مجموع أعلام للامكنة مع تعريفها الوضعي

اما اليوم فقد اتسع مجال هذا العلم وجعل الجغرافيون يعرضون هذا الفن على بقية الفنون لاسيما التاريخ لتنال الجغرافية منها بالمقابلة انوارًا جديدة. لكن هنا ايضًا حدودًا ان تجاوزهـا ارباب وصف البلدان ادّت بهم الى ابحاث ليست هي من شأنهم مما هو اولى بالعلوم الجيولوجية والنسبية والتاريخية والمناخية. فقام الاستاذ اوبرهمر خطيبًا في كلية قيصر وتلا هذه الخطبة في افتتاح دروسه الجغرافية التاريخية ليبيّن فيها غاية العلوم الجغرافية ومواردها وحدودها وما لها من العلاقات بالعلوم غيرهـا خصوصًا التاريخ. فهنيئًا صاحب هذه النبذة التي وجدنا فيها فوائد ودقّة نظر وان لم يسمح له ضيق المقام من تعيين الحدود الفارقة بين الجغرافية والتاريخ بنوع اوضح

VAN DEN SINAI

Door J. P. Van Kasteren s. j. *Nimègue* 1906, pp. 87.

من طورسينا : نظر في المباحث الكتابية الحاضرة

اودع حضرة الاب فان كسترين اليسوعي هذا المجموع اربع مقالات بالهولندية مدارها على مباحث كتابية جارية اليوم بين العلماء وسم المقالة الاولى باسم بابل والتوراة بنسبة ما ورد في هذا الموضوع من الجدال بين علماء الالمانية بعد الاكتشافات الاشورية الحديثة. ثم الحقها بمقالتين عنوانهما « نحو جبل سينا » و « والجبل المقدّس ». وختم هذه المقالات بنبذة رابعة دعاها « الوصايا العشر » وقد احسن حضرة الاب بكل هذه الابحاث كمألوف عادته في كلّ ما يباشره من الدروس الكتابية ه. ل

COLLECTION SCIENCE ET RELIGION

Paris, Bloud, petits volumes in-12 à 0, f. 60

الدين والعلم

قد ابرزت جمعيّة كاثوليكية تحت هذا العنوان مجموعًا في نحو ٣٠٠ كرّاس يبلغ الكرّاس بين ٥٠ الى ١٠٠ صفحة اودعته ابحاثًا في اكثر المطالب التي تدور اليوم في عالم العلم والدين. وقد كنّا سابقًا بيّنّا ما لهذه التآليف من الفوائد وحرّضنا قرّاءنا على مطالعتها لوجودهم في صفحات قليلة لُباب مجلّدات ضخمة فضلًا عن انّها مكتوبة بقلم علماء مبرّزين. وهاك ما اهدته الجمعيّة ادارة المشرق آخرًا من المصنّفات الجديدة التي تبحث عن المسائل الكتابية والمباحث الدينية والتاريخ الكنسي ندوّن اسماءها في لغتها :

P. V. Ermoni, lazariste: *Le Symbole des Apôtres.— L'Eucharistie dans l'Eglise primitive.— L'Agape dans l'Eglise primitive.- La Primauté de l'Evêque de Rome dans les trois premiers siècles.* L'abbé Vacandard: *La Confession sacramentelle dans l'Eglise primitive.— La pénitence publique dans l'Eglise primitive* L'abbé Chauvin: *Histoire de l'Antechrist* † A. Saubin: *Symbolisme du culte Catholique.* P. Deslandre: *L'Eglise et le rachat des Captifs.* A. Baudrillart: *La charité aux premiers siècles du Christianisme.* A. Dufoureq. *La Christianisation des foules* (fin du paganisme). L'abbé Gondal, sulpicien: *Le Catholicisme en Russie.* Dom Besse. O. S. B: *D'où viennent les moines? — Les moines de l'Afrique romaine.— Les Bénédictins en France.* J. de la Faye: *Les petites Sœurs des pauvres*

ومن احبَّ ان يستجلب من هذه المؤلفات عدداً وافراً لمكاتب المدارس أُرسلت له بخصم كبير. والاب س. رزقال مستعدّ ان يعطي في هذا الخصوص كلَّ الافادات لطالبيها

ميامر ثاودورس ابي قرّة

عُني بطبعه الخوري الفاضل قسطنطين باشا ب.م (في مطبعة الفوائد ١٩٠٤ ص ١٦٨)

لم يكن الميمر الذي نشرهُ حضرة الاب قسطنطين باشا في المشرق (٦: ٦٣٣ الخ) عن ابي قرّة سوى قسم من مخطوط مطوَّل لهذا الكاتب البرّز يحتوي على ميامر اخرى ليست باقل فائدةً منهُ. فتولّى حضرتهُ طبع الكتاب برمّته لئلّا يضيع اثرٌ كهذا يُعدُّ من افضل بقايا الاباء الاوّلين فضلًا عن كونهِ اقدم تأليف عربي. وقد استحسن حضرة الاب مقدّمتنا على ميمر هذا الكتاب في المشرق فرواها برمّتها. وقد ذكر لنا حضرة الاب لويس معلوف بمناسبة نشر هذه الميامر رسالةً وردته من حافظ المخطوطات العربية في المتحف البريطاني العلامة جورج أليس الذي عُرف في عالم المستشرقين بسعة معارفه وصدق نظره. وقد مدح فيها ذلك الاديب كلَّ المدح همّة من يسعى في تعريف ونشر المؤلفات النصرانية القديمة العهد لما تتضمنه من الفوائد الجمة عن تاريخ واحوال نصارى الشرق في القرون المتوسطة. اما بخصوص التأليف الذي نشر قسماً منهُ الاب لويس معلوف في المشرق تحت عنوان « اقدم المخطوطات النصرانية العربية » وذهب الى الظن بان ناسخ بردته هو ابو قرّة مستندًا الى بعض ادلة لم يورد حضرة الخوري قسطنطين في مطبوعه الّا اضعفها (راجع مشرق ٦: ١٠١٣ وميامر ثاودورس ابي قرة وجه ١٨٨)

فقد قال العلّامة أليس في الرسالة ذاتها ما تعريبهُ : « انني اوافقك على ظنك ان مؤلف الكتاب الذي تكلمت عنهُ ومقالة اكرام الصور هو واحد اعني ثاودورس ابا قرّة ». وياحبذا لو كشفت لنا الأيام عما يجعل الظن يقيناً ل . ش

P. Cyrille Charron: Les saintes et divines Liturgies en usage dans l'Eglise grecque catholique orientale, *traduction française*. *Beyrouth*, 1904, p. 299

ترجمة افرنسية للليتورجيات اليونانية

نحضُّ كل محبي درس الليتورجيّات الشرقية فضلاً عن ذوي الطقس اليوناني على اقتناء هذا الكتاب الذي يحتوي مع صغر حجمهِ على ترجمة الليتورجيّات الثلاث للقديسين المعلّمين يوحنّا ذهب وباسيليوس وغريغوريوس اللاهوتي ثم ترتيب القداس الاستغفي والقداس الحافل مع دبتيخا البطاركة والاساقفة مع صلوات اخرى عديدة يحتاج الكهنة والعوامّ لاستماع القداس وللاستعداد للمناولة وللشكر . في آخرها قائمة الاعياد والصيامات . وقد اراد حضرة المترجم ان يتمّم فائدة كتابهِ بشرح الالفاظ الليتورجية وتدوين صلوات خادم القدّاس اليوناني باللغة العقلية . كما انهُ صدّر الكتاب بمقدّمة في الليتورجية اليونانية وطبعاتها الاوربيّة والشرقية . وقد فات حضرته ذكر « النبراس لسامع القدّاس بحسب الطقس اليوناني باللغتين العربية والفرنسويّة الذي تولّى طبعهُ صاحب الاحوال سنة ١٨٩٧ » . وفي الختام نتمنّى لهذا الكتاب ما يستحقّهُ من الشيوع والرواج

شذرات

صكّان عربيّان ذكرنا في عدد سابق (ص ٣٩٠) اكتشاف العلامة كلرمون غانو لصكّين عربيين مضمونهما اقطاعات منحها صاحبا صيداء وبيروت لبني مجتر وكنّا نقلنا هذا الخبر عن المجلّة الأثريّة . ثم اطّلعنا على المجموع الاثري الذي ينشرهُ هذا العلامة (ج ٦ ص ١ — ٣٠) فاذا الصكّان هما اللذان وردا في تاريخ بيروت لصالح بن يحيى الذي تولّينا طبعهُ (ص ٨٣ و ١١١) وانّما يظنُّ جنابهُ انّ الاوّل هو ليوليان بن باليان بن رينو (Julien fils de Balian fils de Renaud) متولي الامر في صيداء من ١٢٥٠ الى ١٢٦٠ والثاني لمنفري دي منفور (Humfrey de

(Montfort متولي الامر في بيروت من سنة ١٢٨٠ الى ١٢٨٤. وهو يرجح ان الاسمين قد تشوّها في نسخة صالح بن يحيى المخطوطة. والله اعلم

❧ المكتبة المريمية ❧ فاتنا في العدد السابق ان نذكر في جملة المطبوعات المريمية « تساعية سيدة الوردية في بومباي » طبعت في المطبعة اللبنانية في بعبدا سنة ١٩٠١ (ص ٦٧). وكذلك حصلنا على كتاب مخطوط في اواخر القرن الثامن عشر فيه صلوات تقال في جمعية اخويّة الحبل بلا دنس. مع رسوم هذه الاخويّة وقوانينها. وجاء هناك (ص ٣٢) انّ اخويّة الحبل بسيدتنا مريم العذراء بلا دنس تأسست في كل مكان. وانّ تأسيسها كان سنة ١٧٧٠. وفي هذا الكتاب دليل واضح على شيوع اخويّة الحبل بلا دنس في بلاد سوريّة. وفي آخر الكتاب رسالة احدث خطّاً منهُ وجّهها المطران يوسف الحازن مطران دمشق الى اعضاء الاخويّة في بكفتا كتبها سنة ٨٣٣ يحضّهم فيها على العبادة للعذراء مريم

❧ باقة الازهار لسيدة أيار ❧ وردتنا من حضرة الاخ بطرس سارّة قصيدة في سيدة شهر أيار اقتطفنا منها الابيات الآتية:

جاء القريض بمدح مريم يُنظَمُ ... وأتى اللسان عن البتول يترجمُ
يا بكرُ هذا شهرك الميمون قد ... وافى بخدمتك الزهورَ يقدّمُ
فالزنبق المفترُّ طأطأ رأسهُ ... وجاء طهرك في بياضه يُفهمُ
والنرجس العطريُّ قام مفاخرًا ... بطيوبه ارجاؤنا تتنسّمُ
وكذلك السوسان ينشر عرفهُ ... والورد في البستان اصبح يبسمُ
والياسمين نراهُ ينثر زهرهُ ... وعلى وداعتك القيمُ يسلّمُ
والاقحوان لديك يفرش بسطهُ ... وشذا تواضعك البنفسجُ يرسمُ
والآس بين الزهر يفخر معجبًا ... والطير فوق الغصن قام يرنّمُ
ولك المعابد في قرانا شيّدت ... وعلى قلوب الكل ذكرك يُرقمُ
وبجبك لبنان تاهَ تدلُّلًا ... وبظل رسمك من عداتهِ يسلمُ
لبنان يا خير البلاد تمسّكًا ... بالبكر مريم فهي فيك تكرّمُ
يا ما أحيلى المكث فيك وقد غدت ... تلك الربى والغزُّ فيها مخيّمُ
فربوعكَ الفيحاء بيسم زهرها ... والزهر زينةَ الطهارة يخدمُ
ومديحَ مريم قد تنازع شعرنا ... وأبى سوى الدرّ اليتيم ينظمُ
ولكل امّ الله حقّ ثناؤنا ... هذا الثناء عليَّ فرضٌ ألزمُ
ما دمت حيًّا فالسلام هديتي ... او كنت ميتًا فالعظام تسلّمُ
واذا ابتدأت فبالسلام مباشرٌ ... واذا انتهيتُ فبالتحية اختمُ

أسئلة وأجوبة

سأل جناب نصر المحوري من حامات لاجل سبب بخالف تقسيم الكاثوليك للعشر الوصايا عن تقسيم البروتستانت والروم

تقسيم الوصايا

ج اعلم انَّ الوصايا العشر وردت في سفر الخروج (ف ٢٠) وسفر تثنية الاشتراع (ف ٥) دون ذكر عددها ولا كيفية تقسيمها . ولذلك لم يتَّفق الجميع في تقسيمها . والتقسيم امر عرضي كما تعلم فانَّ السيد المسيح في الانجيل قد اختصر كل الوصايا في وصيَّتين محبَّة الله والقريب . اما سبب الاختلاف بين الكاثوليك وغيرهم انَّ الكاثوليك يعتبرون كوصيَّة واحدة وهي الاولى ما قسمهُ غيرهم الى وصيَّتين فيقولون انَّ قولهُ تعالى « انا الربّ الهك لا يكن لك إله غيري » لا تثبت فقط فروض العبادة لله ولكن تنفي العبادة الآلهة باطلة عن كل المخلوقات والاصنام وما شاكلها . ومن ثم لا حاجة لاعتبار ذلك كوصيَّة قائمة بذاتها . وبخلاف الامر قد افرز الكاثوليك بين شهوة امرأة القريب واشتهاء مقتناه فجعلوهما وصيَّتين لمَّا جعلها الروم والبروتستانت كوصيَّة واحدة . وسبب هذا التقسيم لان شهوة امرأة القريب كملحق للوصيَّة السادسة « لا تزنِ » كما انَّ شهوة مقتناه تتمَّة للوصية السابعة « لا تسرق » ولمَّا كانت الوصية السادسة « لا تزنِ » مختلفة عن الوصية السابعة « لا تسرق » اقتضى الامر ايضاً ان تفرز شهوة امرأة القريب عن شهوة مالهِ

س وسأل احد القرَّاء ان نعين لهُ الكميات المناسبة لاحسن محللات التصوير الشمسي لاظهار الصورة وتثبيتها

محللات التصوير الشمسيّ

ج لمَّا كانت هذه المحلَّلات قد تعدَّدت اليوم وذكرنا سابقاً بعضها نذكر هنا محلَّلا حسناً لاظهار الصورة . اجعل في ١٠٠٠ غرام من الماء السخن ١٥٠ غراماً من كربونات الصودا ثم ٧٥ غ من سولفيت الصودا و ١٠ غ من الهدروكينون . وان اردت مركباً مخفِّفاً لعمل المحلِّل (retardeur) فاجعل ٣ او ٤ نقط من برومور البوطاس الممزوج بالماء بنسبة ١٠ في المئة . اما تثبيت الصورة فيكون بهيبوسلفيت الصودا بنسبة ١٢ في المئة وتقوَّى بسائل من پركلورور الزئبق بنسبة ١ في المئة ثم تجعل الصورة آخراً في مغطس من الامونياك بنسبة ٣ في المئة

ل . ش